المنار

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولو الالباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى « ومنارا » كمنار الطريق

مصر . سلخ ربيع الاول ١٣٣٩ — ١٨ القوس (خ٣) سنة ١٢٩٩ هش ١٠ ديسمبر ١٩٢٠

فاتحة المجلد الثاني والعشرين

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، وجلَّ ثناؤك، ولا إله غيرك، لا نحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، فنحمدك بما حمدت به نفسك في كتابك، ونصلي ونسلم على أنبيائك ورسلك: (الحمدُ للهِ وسلامٌ على عِبادِهِ الذينَ اصْطَفَى)، وتحياته المباركات وصلواته الطيبات على خاتم رسله محمد المصطفى، وآله المطهرين وأصحابه الحنفا، وعلى من اتبع هديهم واقتفى، (وَهُوَ اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَهُ الحَمْدُ في الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ)

سبحانك اللهم وبحمدك ، حكمتَ فعدلت ، وقدّرت فهديت ، وانتقمت فقهرت ، فلك الحمد في السراء والضراء وحين البأس ، لا قنوط من رحمتك ولا يأس ، فاسألك من رحمتك العامة للعالمين ، ومن رحمتك الخاصة للمسلمين ، ووفقني اللهم للقيام في هذا المنار بالنصيحة الحق ، النافعة لكل من بلغته من الخلق ، ووفق اللهم أئمة هذه الامة وأمراءها ، وقادتها وزعماءها ، الى ما تخرجها به من ظلمات هذه الفتن الى النور الفائض من مطالع آياتك البينات ، المنبسط شعاعه على الخلق بسننك في سير البشر ونظام الكائنات ، ليعلموا أن الغلو في الدين ، مضيعة للدنيا والدين ، وان الغرور بالدنيا مهلكة للمغرورين ، وان سنة الله تعالى في رد الفعل الى سواء الصراط ، يتعاقب في سبيله التفريط والافراط ، (وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)

سبحانك اللهم وبحمدك ، أريتنا من آياتك في أنفسنا وفي الآفاق ما يتبين به الحق ، لمن زكت فطرته واستنارت بصيرته من الخلق ، فوفقنا لمعرفة ما نراه منها في هذا الزمان ، معرفة اعتبار وحكمة وايقان ، كما وفقت لذلك آباءنا الاولين ، وسلفنا الصالحين ، لنكون كما كانوا من الأئمة الوارثين ، الجامعين بين سيادة الدنيا وهداية الدين ، اذا أوغلنا في الدين نوغل برفق فلا نغلو غلوّ المغرورين ، واذا حكمنا بين الناس نحكم بالعدل فلا نعلو علوّ الجبارين ، واذا تصرفنا بما أحللت لنا من الزينة والطيبات من الرزق نتصرف تصرف الشاكرين ، فلا نستأثر بالنعمة أَثَرَةَ المسرفين ، الذين يفسدون في الارض ولا يصلحون ، (يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَافِرُونَ)

سبحانك اللهم وبحمدك ، أريتنا آياتك فان جحدها أقوام فقد عرفناها وما نحن لها بجاحدين ، وعرفتنا نعمتك فان يكفر بها الاكثرون فما نحن بها بكافرين ، وقد أنزلت عقابك الحق بالباغين الجبارين ، وبالمترفين المسرفين ، وبمن ذل لكبريائهم ودان لطغيانهم من الجاهلين المفرطين ، فاجعل اللهم ذلك عبرة وموعظة لنا ، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، وارفع اللهم مقتك وغضبك عنا، فقد آن أن يستدير الزمان، ويتجدد اعجاز القرآن ، فيتوب الفاسقون ، ويوقن المرتابون، ويؤمن الجاحدون (الٓمٓ ، غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ . لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ ، وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ وَعْدَ اللَّهِ لاَ يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ * يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ)

سبحانك اللهم وبحمدك . أريتنا من جهل أعلم الناس بشؤون خلقك ، ما أقمت به الحجة البالغة على صدق قولك واحاطة علمك ، فقد غلبت الروس الذين كانوا يعدون الخطر الاكبر على الاسلام ، كما غلبت الروم فى عهد ظهور النبي عليه الصلاة والسلام ، ثم غلبت الشعوب الجرمانية ، وظهر جهلها بما كانت به أعلم الشعوب من الفنون الحربية، ثم ظهر جهل أعلم الاقوام بجمع الثروة وحفظ المال فكانوا من الخاسرين ، وظهر جهل أعلم الامم بشؤون الادارة والاستعمار فكانوا من الخائبين (ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ)

سبحانك اللهم وبحمدك أنت الواحد القهار، مكور النهار على الليل

ومكوّر الليل على النهار ، الكبرياء رداؤك ، والعظمة إزارك ، من نازعك فيهما قصمته ، وقد صرّفت عن آياتك الذين يتكبرون في الارض بغير الحق ، مغترين بما استدرجتهم به من شدة القوة وسعة الرزق ، فلم يعتبروا بما حل بمن قبلهم ممن كانوا أشد منهم قوة ، ولم يتعظوا بما أنزلت من آيات الوحي وشرعت من هدي النبوة ، . . . .

. . . . واجعل ذلك تربية للمستضعفين المتفرقين ، وقهرك إياهم سلاما ورحمة لجميع العالمين، يعلو بها الحق على الباطل، ويقضي بها العدل على الظلم ، ويغلب القصد والاعتدال والايثار ، على السرف والاثرة والاستكبار ، فقد ضاق البشر ذرعا بطمع الاغنياء المسرفين، وطغيان الرؤساء الجبارين ، الذين طغوا في البلاد فاكثروا فيها الفساد ، واستكبروا على العباد فاستعبدوا الجماعات والشعوب للافراد، (أفأمِنَ أهلُ القُرى أن يأتيهم بأسُنا بياتاً وهم نائمون؟ * أوَ أمِنَ أهلُ القُرى أن يأتيهم بأسُنا ضُحىً وهم يلعبون؟ * أفأمِنوا مكرَ الله؟ فلا يأمَنُ مكرَ الله إلا القومُ الخاسرون * أوَلم يهدِ للذين يرثون الأرضَ من بعدِ أهلها أن لو نشاءُ أصبناهم بذنوبهم ونطبعُ على قلوبهم فهم لا يسمعون)؟

لقد انذرنا أكابر الساسة في مثل هذه الفاتحة منذ عامين، أن ترك تنفيذ قواعد العدل العام وحرية الامم لا بد لها من احدى العاقبتين ، بقولنا: إن لا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير ، وانقلاب بلشفي شره مستطير، أو تعود الحرب جذعة، بهذه السياسة الخُدَعة، الخُبَأة الطُلَعة (والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور ، فلا

تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) وقد صدقت الآيات ولم تغن النذر، واتبع المنذرون أهواءهم وكل أمر مستقر، فهذه الارض تضطرم بنيران الفتن والفساد ، والانقلاب البلشفي كل يوم في ازدياد، وإنما هو شر على منهومي المال، ومستعبدي الاقوام ومُذلي الاقيال، وقد يشقى ناس فيسعد بشقائهم آخرون، وتثل عروش قرى عاتية فيرثها قوم آخرون، (أهم يقسمون رحمة ربك؟ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون • ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة ومعارج عليها يظهرون ...)

. . . . ان الناس لن يكونوا أمة واحدة، ولن تخضع الامم منهم لامة واحدة، ويا أيها المترون المترفون، و«الرأسماليون» الطامعون، إن طلب الزيادة ينتهي بالوقوع في النقصان، وان السواد الاعظم من البشر لا يرضى أن يكون عبداً خادماً لافراد من الاعيان، وان سنة رد الفعل، سيكون لها القول الفصل، والحكم العدل؛ ولكن المجرمين يرون العدل عقاباً، والمساواة بين الناس عذاباً، فكيف اذا سبقه الجزاء على الظلم السابق، والافراط الماحق، وكان تنفيذه على المعاندين، بمثل القسوة التي كانوا يسومونها الضعفاء والمساكين؟ وان تبتم قبل أن يحاط بكم، فهو خير لكم، (لا تظلمون ولا تظلمون • ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون)

وأنت يا أيتها الامة الامية، التي عاودها الارتكاس في عصبية الجاهلية،

الى م هذا التفرق والانقسام، بعد تلك السيادة بالوحدة والاعتصام؟
وحتى م تلدغين من الجحر الواحد مراراً عديدة وقد حُذّرتِ من المرتين،
وسمعت النذر بالاذنين ورأيت العبر بالعينين ولمست العواقب باليدين؟
والى متى تغترين بالمظاهر والالقاب، وتدعين الفرص تمر بك مر السحاب؟
تداعت عليك الامم كما أخبرك النذير، . . . .
اذ كان لهم منك أيّ ولي وظهير، ورأيت الذين في قلوبهم مرض يسارعون
فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة، وابتغوا عندهم العزة والثروة
فكانت كرتهم الخاسرة، لانهم خسروا بولايتهم الدنيا والآخرة، وذلك
هو الخسران المبين، وان كانوا اغنه لمن الغافلين (فتقطّعوا أمرَهم بينهم زُبُرًا
كلُّ حِزبٍ بما لديهم فرِحُون * فذرهم في غمرتهم حتى حِينٍ *
أيحسَبُونَ أنَّ ما نُمدّهم بهِ من مالٍ وبَنِينَ * نسارعُ لهم في
الخيراتِ؟ بَل لا يَشعُرُون)

فياقوم اني لكم ناصح أمين، على علم بالحق المبين، من هداية القرآن،
وأحوال الزمان، أن لا تعبدوا الا الله، ولا تيأسوا من روح الله، (وأن
استغفِرُوا ربَّكم ثمّ توبوا اليهِ يُمتِّعْكم متاعاً حسناً الى أجلٍ مُسمًّى
ويُؤتِ كل ذي فضلٍ فضلَهُ، وان تولوا فإني أخافُ عليكم عذابَ يومٍ
كبير) أخاف عليكم عذاب يوم القيامة الاولى، قبل عذاب يوم القيامة
الاخرى، يوم الخزي والنكال، بفقد بقية الاستقلال، فقابلوا أولياء الشيطان،
بما أمركم به الرحمن، من غير تحريف ولا تصحيف في القرآن، ولا تغرنكم أيمان
أئمة ليس لهم إيمان، ولا يصدنكم عن آيات الله سبب ولا نسب، ولا
رغب ولا رهب، ولا ورق ولا ذهب، فقد برح الخفاء وانكشفت الظلمة،

فلا يكن أمركم عليكم غمة ، (قل ياقوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون — من تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون)

وبا لا أخص بالتذكير قومي وعشيرتي ، بهذا التذكير العام لجميع شعوب أمتي ، بما يشد أسر الجماعة ويضيع عنها إصرها ، ويحكم أواصر الجامعة ويرفع لها ذكرها ، وهم لا يزالون أشد تلك الشعوب تخاذلا وتواكلا ، وأضعفهم تعاونا وتكافلا ، وأكثرهم تباغيا وتفاشلا ، وتماحكا وتماحلا ، وأقلهم تحالفا وتناصرا ، وتضافرا وتظاهرا ، اتحد مسلمو مصر مع القبط فيما يفيد في الدنيا ولا يضر بالدين ، وتعاون مسلمو الهند كذلك مع الوثنيين ، وتناصر مسلمو الترك مع الروس أعدى أعدائهم الاولين ، ولكن تعذر الاتفاق في الجزيرة بين أبناء الدين الواحد ، واللغة الواحدة والوطن الواحد ، كما تعذر الاتحاد في قطر آخر بين السهل والجبل ، بل بين بلد وبلد ، ولولا أن هذه الامة مرحومة لأبسلت بذنوبها ، وهلكت بتفريطها في أمرها ، ومن رحمة الله بها أن باب التوبة لا يزال مفتوحا في وجهها ، وان مسالك النجاة ما فتئت مرجوة لها ، فما عليها إلا أن تأتي البيوت من أبوابها ، وتطلب المسببات من أسبابها ، بتغيير ما أوقعها في سابق غرورها ، والتواكل في أمورها ، والاتكال على أعان مبيرها . (ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وان الله سميع عليم * كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وكل كانوا ظالمين * ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون * الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون) فتدبروا سائر الآيات . (وانتم

لا تظلمون * هذا بصائر للناس وهدًى ورحمة لقوم يوقنون)

استدار الزمان، ووقع من التطوّر الاجتماعي ما لم يكن في الحسبان، وسيندك ما بقي من صروح الاستبداد، وينطلق سائر المستعبدين من مقاطر الاستعباد، بفضل التضافر والتظاهر والاتحاد . . . .

. . . . وانما الذل والهوان، والخزي والخذلان، والبغي والعدوان، على أهل النفاق والدهان، والمتفرقين في المذاهب والاديان، والمتعادين في الزعامات والبلدان: والمغرورين بالعهود والايمان. والقوانين وحقوق الانسان، والمخدوعين بكلم العدل والمدنية، والمساواة والحرية. والرحمة الانسانية. وانما المعاهدات، حجج الاقوياء على الضعفاء، ولا وجود للعدل والمساواة، الاحيث العجز عن الظلم والمحاباة، ولا حق في الحرية، ولا في الرحمة الا لذوي الايد. والحرمة، والمأقل لا يظلم فكيف اذا كان أمة[1] على أن ناموس السياسة تكثر فيه اسماء الاضداد، فلا تنافي فيه بين التحرير والاستعباد، ولا تضاد بين الحماية والاستقلال. ولا تناقض بين الاساءة والاحسان، ولا تعارض بين الكفر والايمان (يقولونَ بأفواهِهِم ماليسَ في قلوبهم والله أعلمُ بما يكتمون * كيفَ وإن يَظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلاً ولا ذِمّة وأولئكَ هُم المعتدون)

تبا للمنافقين المتملقين. وسحقا لليائسين المستسلمين. وبعدا للفاسقين الخائنين. وطوبى للراجين العاملين. فرب خوف أعقب الرجاء. ورب عداء انتهى بولاء (وعَسَى أنْ تكرَهُوا شيْئًا وهو خيرٌ لكم وعَسَى أن تُحبوا شيْئًا وهو شرٌّ لكم. والله يعلم وانتم لا تعلمون)

منشيء المنار ومحرره
محمد رشيد رضا

(١) هذه الكلمة لموقظ الشرق الحكيم السيد جمال الدين الافغاني

تفسير القرآن الحكيم

« على الطريقة التي كان يلقيها في الازهر شيخنا الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رضي الله عنه »

(١٢٧) وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يُمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ ٱلإِنْسِ ، وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ ٱلإِنْسِ : رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا ٱلَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا . قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ ٱللَّهُ ، إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٨) وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٢٩) يُمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ؟ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ، وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَٰفِرِينَ (١٣٠) ذَٰلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ (١٣١) وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ

اشتمل سياق الآيات السابقة لهذه الآيات على وعيد بما أعد الله من العذاب للمجرمين ووعد في دار السلام للمؤمنين في اثر بيان أحوالهم وأعمالهم التى استحق بها كل منهما جزاءه . وقفى عليه في هذه الآيات بذكر مايكون قبل الجزاء من الحشر وبعض مايكون في يومه من الحساب واقامة الحجة على الكفار ، وسنة الله في هلاك الامم ، وجعل درجات الجزاء بالعمل ، قال

﴿ ويوم يحشرهم جميعاً : يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس ﴾ قرأ حفص عن عاصم وروح عن يعقوب « يحشرهم » بالياء والباقون « نحشرهم »

بنون العظمة . والمعشر الجماعة الذين يعاشر بعضهم بعضاً وقال في لسان العرب : ومعشر الرجل أهله ، والمعشر الجماعة متخالطين كانوا أو غير ذلك . قال ذو الاصبع العدواني :

وأنتم معشر زيد على مئة فأجمعوا أمركم طرا فكيدوني

والمعشر والنفر والقوم والرهط معناهم الجمع لا واحد لهم من لفظهم للرجال دون النساء . قال والعشيرة أيضاً للرجال ، والعالم أيضاً للرجال دون النساء . وقال الليث : المعشر كل جماعة أمرهم واحد نحو معشر المسلمين ومعشر المشركين . والمعشر جماعات الناس اه ثم ذكر ان المعشر يطلق على الانس والجن واستشهد بالآية (يامعشر الجن والانس) وانما سمي كل من الجن والانس معشراً لأنهم جماعة من عقلاء الخلق . وليس المعنى أن لفظ المعشر مرادف للفظ الانس وللفظ الجن وانما يضاف اليه اضافة بيانية . والظاهر انه مشتق من المعاشرة . ونقل الآلوسي عن الطبرسي ان المعشر « الجماعة التامة من القوم التي تشتمل على أصناف الطوائف ومنه العشرة لانها تمام العقد » اه وهو قول لا دليل عليه ولا نقل يثبته فيما نعلم

تكرر في التنزيل مثل هذا التعبير في التذكير بيوم القيامة والاعلام بما يكون فيه من الاهوال والحساب والجزاء كقوله تعالى في سورة يونس (١٠:٢٨ ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم) وقوله في سورة الفرقان (٢٥:١٧ ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله) الآية . وقوله فيها (٢٧ ويوم تشقق السماء بالغمام) الآيات وقوله في سورة القصص (٢٨ : ٦٢ و٦٥ و٧٤ ويوم يناديهم) الآيات . وجمهور المفسرين يجعلون كلمة « يوم » في أمثال هذه الآيات مفعولا لفعل محذوف تقديره « واذكر » وهو خطاب للرسول (ص) أي واذكر لهم فيما تتلوه عليهم يوم يكون كذا وكذا ، لان هذا معهود ومعروف عندهم ويدل عليه (واذكر في الكتاب ابراهيم) الخ وبعضهم يجعله ظرفاً لفعل مقدر ان لم يوجد بعده مايصلح أن يكون عاملا فيه مذكوراً أو مقدراً ومنه فعل القول المقدر هنا قبل النداء . فيقال هنا : ويوم يحشرهم جميعاً يقول لمعشر الجن منهم يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس . فالضمير في « يحشرهم » للجن والانس الذين سبق ذكرهم في هذه السورة بقوله (٩٩ وجعلوا لله شركاء الجن) وقوله (١١١ شياطين الانس والجن) وهو أقرب ،

والشياطين هم الاشرار من الفريقين فهم المرادون هنا لان الخطاب لهم لا لجميع الجن ، وفيمن ضل من الانس بهم لا في جميع الانس . قال الحافظ ابن كثير : يعني الجن وأولياءهم من الانس الذين كانوا يعبدونهم في الدنيا ويعوذون بهم ويطيعونهم ويوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً (قال) ومعنى قوله : قد استكثرتم من الانس — أي من اغوائهم واضلالهم كقوله تعالى (٣٦ : ٥٩ ألم أعهد اليكم يابني آدم أن لاتعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين * ٦٠ وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم * ٦١ ولقد أضل منكم جبلا كثيراً أفلم تكونوا تعقلون) وقال علي ابن أبي طلحة عن ابن عباس « يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس » يعني أضللتم منهم كثيراً . وكذلك قال مجاهد والحسن وقتادة اه فالاستكثار هنا أخذ الكثير لا طلبه كقولهم استكثر الامير من الجنود أي أخذ كثيراً . وفلان من الطعام أي أكل كثيراً . والمراد انهم استتبعوهم بسبب اضلالهم اياهم فحشروا معهم لان المكلفين يحشرون يوم القيامة مع من اتبعوهم في الحق والخير أو في الباطل والشر

﴿ وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض ﴾ أولياؤهم هم الذين تولوهم أي أطاعوهم في وسوستهم وما ألقوه اليهم من وحي الغرور، والاستمتاع طلب الشيء لجعله متاعاً ، أوجعله متاعاً بالفعل ، والمتاع ماينتفع به انتفاعاً طويلا ممتداً لان أصل معناه الطول والارتفاع . أي وقال الذين تولوا الجن من الانس في جواب الرب تعالى : يا ربنا قد تمتع كل منا بالآخر أي بما كان للجن من اللذة في اغوائنا بالاباطيل وأهواء الانفس وشهواتها وبما كان لنا في طاعة وسوستهم من اللذة في اتباع الهوى والانغماس في اللذات . قال الحسن : وما كان استمتاع بعضهم ببعض الا أن الجن أمرت وعملت الانس. وقال ابن جريج : كان الرجل في الجاهلية ينزل بالارض فيقول : أعوذ بكبير هذا الوادي — فذلك استمتاعهم فاعتذروا به يوم القيامة . اه ونقله ابن كثير عن ابن جرير وقال : وأما استمتاع الجن بالانس فانه كان فيما ذكر ما ينال الجن من الانس من تعظيمهم اياهم في استعاذتهم بهم فيقولون قد سدنا الانس والجن . اه والمراد ان المشركين من أهل الجاهلية يظلون يوم القيامة على خرافاتهم التي كانوا عليها في الدنيا اذ كانوا يخافون من الجن في أسفارهم

ويستعيذون بعظمائهم من أذى دهمائهم . وهو مستبعد وأبعد منه اعتذارهم به لله تعالى وأبعد منهما جعله هو المراد من الآية وهي عامة لجميع من استمتع من الفريقين بالآخر ممن كان يستعيذ بعظماء الجن وسادتهم من شرارهم في الاودية كعرب الجاهلية ، وممن لايعرف هذا من مصدق بوجود الجن وان لم يخف منهم ولم يستعذ بسيد من مسود ، ومن مكذب بوجودهم أوغير مصدق ولا مكذب ، فان كل انسي يوسوس له شياطين الجن بما يزين له الباطل والشر ويغريه بالفسق والفجور كما تقدم مفصلا (١) فان هذا الخلق الخفي الذي هو من جنس الارواح البشرية يلابسها بقدر استعدادها للباطل والشر ويقوي فيها داعيتهما كما تلابس جنة الحيوان الخفية الاجساد الحيوانية فتفسد عليها مزاجها وتوقعها في الامراض والادواء . وقد مر على البشر ألوف من السنين وهم يجهلون طرق دخول هذه النسم الحية في أجسادهم وتقوية الاستعداد للامراض والادواء فيها بل احداث الامراض الوبائية وغيرها بالفعل حتى اكتشفها الاطباء في هذا العصر وعرفوا هذه الطرق والمداخل الخفية بما استحدثوا من المناظير التي تكبر الصغير حتى يرى اكبر مما هو عليه بألوف من الاضعاف . ولو قيل لاكبر اطباء قدماء المصريين أو الهنود أو اليونان أو العرب ان في الارض أنواعا من النسم الخفية تدخل الاجساد من خرطوم البعوضة أو البرغوث أو القملة ومع الهواء والماء والطعام وتنمي فيها بسرعة عجيبة فتكون الوف الالوف وبكثرتها تتولد الامراض والاوبئة القاتلة — لقالوا ان هذا القول من تخيلات المجانين . ولكن العجب لمن ينكر مثل هذا في الارواح بعد اكتشاف ذلك في الاجساد ، وأمر الارواح أخفى ، فعدم وقوفهم على مايلابسها ألوفا من السنين أولى . وقد روي في الآثار مايدل على جنة الاجسام ولو صرح به قبل اختراع هذه المناظير التي يرى بها لكان فتنة لكثير من الناس بما يزيدهم استبعادا لما جاء به الرسل من خبر الجن . ففي الحديث « تنكبوا الغبار فان منه تكون النسمة » والنسمة في اللغة كل ما فيه روح وفسره ابن الاثير في الحديث بالنفس (بالتحريك) أي تواتره الذي يسمى الربو والنهيج وتبعه شارح القاموس وغيره ، وهو تجوز لا يؤيد الطب مايدل عليه من الحصر وروي عن عمرو بن العاص : اتقوا غبار مصر فانه يتحول في الصدر الى نسمة . هو بعيد عن تأويلهم وظاهر فيما يقوله الاطباء اليوم وهو مأخوذ من الحديث

(١) سبق ذلك في مواضع اشبهها بماهنا مافي ص ٥٠٨ — ٥١٥ ج ٧ تفسير

الذي تأولوه ، وعمرو من فصحاء قريش جهابذة هذا اللسان ،

﴿ وبلغنا اجلنا الذي أجلت لنا ﴾ أي وصلنا بعد استمتاع بعضنا ببعض الى الاجل الذي حددته لنا وهو يوم البعث والجزاء ، وقد اعترفنا بذنوبنا ، ولك الامر فينا . فالمراد من ذكر بلوغ الاجل لازمه وهو اظهار الحسرة والندامة على ما كان من تفريطهم في الدنيا ، والاضطرار الى تفويضهم الامر الى الرب جل وعلا . ولم يذكر هنا قولا للمتبوعين من الشياطين وعلله بعضهم بان الاقتصار على حكاية كلام الضالين دون المضلين يؤذن بأن المضلين قد أفحموا فلم يتكلموا . والصواب أن الله تعالى يذكر لنا بعض ما يكون يوم القيامة في آي متفرقة من سور متعددة لان المراد به وهو العظة والاعتبار ينبغي أن يكون متفرقا لما بيناه من حكمته في مواضع من هذا التفسير . وقد قال تعالى في الفريقين (ويوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً) وبين في سورة البقرة كيف يتبرأ بعضهم من بعض ، وقال بعده (كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم) وحكى في (سورة ابراهيم) اقوال كل من الضعفاء التابعين من الناس وقول المتكبرين المتبوعين لهم وقول الشيطان للفريقين وتنصله من استحقاق الملام وكفره بما أشركوه .

بعد ما تقدم ينتظر السامع والقارئ جواب الله تعالى لهم وقد بينه بقوله

﴿ قال النار مثواكم خالدين فيها الا ماشاء الله ﴾ النار اسم لدار الجزاء المعدة للمشركين والمجرمين . والمثوى مكان الثواء والثواء نفسه وهو الاقامة والسكنى . والخلود المكث الثابت الطويل غير الموقت كمكث أهل الوطن في بيوتهم المملوكة لهم فيه ، أي تثوون فيها ثواء خلود أومقدرين الخلود موطنين انفسكم عليه ، الا ماشاء الله تعالى مما يخالف ذلك فكل شيء بمشيئته ، وهذا الجزاء يقع باختياره فهي مقيد بها ، فان شاء ان يرفعه كله او بعضه عنكم أوعن بعضكم فعل لان مشيئته نافذة في كل شيء تتعلق به قدرته الكاملة وسلطانه الاعلى . ولكن هل يشاء شيئاً من ذلك أم لا ؟ ذلك مما يعلمه هو سبحانه حق العلم وحده ولا يعلمه غيره ، وانما تتعلق الارادة بما يقتضيه العلم والحكمة ، وقد بين ذلك بقوله :

﴿ ان ربك عليم حكيم ﴾ اي عليم بما يستحقه كل من الفريقين حكيم فيما تتعلق به مشيئته من جزائهم المنصوص عليه في كتابه ، وفي هذا الاستثناء

ومدلوله وتأويله وغايته ، والبشر لا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء . وانما تكلم من تكلم في الاستثناء هنا وفي سورة هود بالتأول للآيات الواردة في الجزاء والجمع بينها للجزم بأن الاختلاف والتعارض في كتاب الله تعالى محال . وكذا بتأول ماورد في الاحاديث المبينة لما أنزله تعالى ، ومنها أحاديث سبق الرحمة وغلبها على الغضب وسعتها لكل شيء وعمومها

أما ماورد في التفسير المأثور في الاستثناء هنا فهو بمعنى ماجرينا عليه من تفويض الامر فيه الى الله تعالى وعدم الحكم على مشيئته في هذا الامر الغيبي وهو مارواه ابن جرير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابو الشيخ عن ابن عباس قال: ان هذه الآية آية لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه لا ينزلهم جنة ولا ناراً . وأما الاستثناء في سورة هود فقد ذكروا في تأويله عدة روايات منها قول قتادة الله أعلم بثنياه ، ولأهل التفسير باللغة والجمع بين النقل والعقل فيها عدة آراء.

وانا نعقد فصلا لبيان ماورد عن السلف في مسألة أبدية النار بالمعنى الذي عليه المتكلمون وهو عدم النهاية والانقضاء ، ومافيه من المذاهب والآراء ، لان هذه المسألة فيها نظريات دقيقة ، وروايات عن بعض السلف والخلف غريبة ، وشبهات لكثير من الناس خطرة ، فيجب التوسع فيها

﴿ فصل في الخلاف في أبدية النار وعذابها ﴾

نلخص في هذا الفصل أولا ماورد في (الدر المنثور في التفسير بالمأثور) للسيوطي من الروايات في آية هود . ونبدأ منها بحديث مرفوع انفرد ابن مردويه بروايته عن جابر وهو ان النبي (ص) قرأ الآية الى قوله (الا ماشاء ربك) وقال « ان شاء الله أن يخرج أناساً من الذين شقوا من النار فيدخلهم الجنة فعل » (ومقتضاه أن الوعيد في أهل النار مقيد بالمشيئة المبهمة بخلاف الجنة كما سيأتي ، وماذكر في اخراج أناس هل يجوز في الجميع أم لا ، وهل الذين شقوا في الآية هم الكفار أم جميع من يدخل النار أم هم عصاة المؤمنين ؟ أقوال المتبادر في المسألة الاخيرة الأول كما قاله بعض المحققين وسيأتي بيانه) وفيه عن ابن عباس ان الآية في أهل الكبائر الذين يخرجون من النار بالشفاعات . وعنه في الاستثناء قال : فقد شاء الله أن يخلد هؤلاء في النار وهؤلاء في الجنة . وعن خالد بن معدان في الاستثناء قال في أهل التوحيد من أهل القبلة . ومثله عن الضحاك

وقال قتادة : يخرج قوم من النار ولا نقول كما قال أهل حروراء (أي من الخوارج الذين يقولون بخلود أصحاب الكبائر) وعن ابن عباس أن استثناء الله ان يأمر النار أن تأكلهم . وعن السدي ان الآية منسوخة بعادل من الآيات المدنية على الخلود الدائم . وعن أبي نضرة عن جابر بن عبدالله الانصاري أو عن أبي سعيد الخدري أو رجل من أصحاب رسول الله (ص) في قوله (الاماشاء ربك ان ربك فعال لما يريد) قال هذه الآية قاضية على القرآن كله ، يقول حيث كان في القرآن (خالدين فيها) تأتي عليه . وعن أبي نضرة قال : ينتهي القرآن كله الى هذه الآية (ان ربك فعال لما يريد) وعن عمر بن الخطاب : لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج لكان لهم يوم على ذلك يخرجون فيه . وعن أبي هريرة : سيأتي على جهنم يوم لايبقى فيها أحد . وقرأ (فاما الذين شقوا) وعن ابراهيم (النخعي) ما في القرآن آية أرجى لاهل النار من هذه الآية (خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك) قال وقال ابن مسعود : ليأتين عليها زمان تخفق أبوابها (زاد ابن جرير عنه : ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقابا) وعن الشعبي قال : جهنم أسرع الدارين عمرانا وأسرعهما خرابا اهـ التلخيص

ونقل الآلوسي عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : يأتي على جهنم يوم ما فيها من ابن آدم أحد تصفق أبوابها كأنها أبواب الموحدين

وقال ابن جرير بعد ان أورد الاقوال في الآية والروايات في كل قول : وقال آخرون : أخبرنا الله بمشيئته لاهل الجنة فعرفنا ثنياه بقوله (عطاء غير مجذوذ) انها في الزيادة على مدة السموات والارض (قال) ولم يخبرنا بمشيئته في أهل النار وجائز أن تكون مشيئته في الزيادة وجائز ان تكون في النقصان اهـ

وقد لخص صاحب (جلاء العينين) ماورد في الدر المنثور من الروايات في انتهاء عذاب النار ثم قال : وفي شرح عقيدة الامام الطحاوي بعد كلام طويل مانصه: (السابع) أنه سبحانه يخرج منها من شاء كما ورد في السنة ثم يبقيها ماشاء ثم يفنيها فانه جعل لها أمدا تنتهي اليه (الثامن) ان الله تعالى يخرج منها من شاء كما ورد في السنة ويبقى فيها الكفار بقاء لا لانقضاء كما قال الشيخ يعني الطحاوي. وما عدا هذين القولين من الاقوال المتقدمة ظاهر البطلان. وهذان القولان لأهل السنة ولينظر في دليلها . ثم أورد آية الانعام التي نحن بصدد تفسيرها ثم آية

هود التي لخصنا ماورد فيها بما تقدم وغير ذلك

وأقول على هذه الروايات بنيت الاقوال والمذاهب في أبدية النار وعدم نهايتها وفي ضده ويدخل فيه انها تفنى كما تقول الجهمية وينتهي عذابها أو يتحول الى نعيم كما قال الشيخ محيي الدين بن العربي وعبد الكريم الجيلي .

تفصيل ابن القيم للمسألة :

وقد استوفى ذلك بالاسهاب المحقق ابن القيم في كتابه حادي الارواح فقال ﴿ فصل ﴾ وأما أبدية النار ودوامها فقال فيها شيخ الاسلام : فيها قولان معروفان عن السلف والخلف والنزاع في ذلك معروف عن التابعين . قلت ههنا أقوال سبعة

(أحدها) ان من دخلها لا يخرج منها أبداً بل كل من دخلها لايخرج منها أبداً بل كل من دخلها مخلد فيها أبد الآباد باذن الله وهذا قول الخوارج والمعتزلة

(والثاني) ان أهلها يعذبون فيها مدة ثم تنقلب عليهم وتبقى طبيعة نارية لهم يتلذذون بها لموافقتها لطبيعتهم . وهذا قول امام الاتحادية ابن عربي الطائي (قال في فصوصه) الثناء بصدق الوعد لا بصدق الوعيد والحضرة الالهية تطلب الثناء المحمود بالذات فيثنى عليها بصدق الوعد لا بصدق الوعيد بل بالتجاوز (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) لم يقل وعيده بل قال (ويتجاوز عن سيئاتهم) مع انه توعد على ذلك وأثنى على اسماعيل بانه كان صادق الوعد وقد زال الامكان في حق الحق لما فيه من طلب المرجح

فلم يبق الا صادق الوعد وحده	وما لوعيد الحق عين تعاين
وأن دخلوا دار الشقاء فانهم	على لذة فيها نعيم مباين
نعيم جنان الخلد والامر واحد	وبينهما عند التجلي تباين
يسمى عذاباً من عذوبة طعمه	وذاك له كالقشر والقشر صاين

وهذا في طرف والمعتزلة الذين يقولون لا يجوز على الله أن يخلف وعيده بل يجب عليه تعذيب من توعده بالعذاب في طرف ، فاولئك عندهم لا ينجو من النار من دخلها أصلا ، وهذا عنده لا يعذب بها أحداً أصلا . والفريقان مخالفان لما علم بالاضطرار أن الرسول جاء به وأخبر به عن الله عز وجل

(الثالث) قول من يقول ان أهلها يعذبون فيها الى وقت محدود ثم يخرجون

منها ويخلفهم فيها قوم آخرون . وهذا القول حكاه اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم فأكذبهم فيه وقد أكذبهم الله تعالى في القرآن فيه فقال تعالى (وقالوا لن تمسنا النار الا أياماً معدودة ٠ قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله مالا تعلمون * بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وقال تعالى (ألم تر الى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون * ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار الا أياماً معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون) فهذا القول انما هو قول أعداء الله اليهود فهم شيوخ أربابه والقائلين به (١) وقد دل القرآن والسنة واجماع الصحابة والتابعين وأئمة الاسلام على فساده ٠ قال تعالى (وما هم بخارجين من النار) وقال (وما هم منها بمخرجين) وقال (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها) وقال تعالى (كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها) وقال تعالى (لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها) وقال تعالى (ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) وهـذا أبلغ ما يكون في الاخبار عن استحالة دخولهم الجنة

(الرابع) قول من يقول يخرجون منها وتبقى ناراً على حالها ليس فيها أحد يعذب . حكاه شيخ الاسلام والقرآن والسنة أيضاً يردان على هذا القول كما تقدم

(الخامس) قول من يقول بل تفنى بنفسها لأنها حادثة بعد ان لم تكن وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه وأبديته . وهذا قول جهم بن صفوان وشيعته ولا فرق عنده في ذلك بين الجنة والنار

(السادس) قول من يقول تفنى حياتهم وحركاتهم ويصيرون جماداً لا يتحركون ولا يحسون بألم . وهذا قول أبي الهذيل العلاف امام المعتزلة طرداً لامتناع حوادث لانهاية لها والجنة والنار عنده سواء في هذا الحكم

(السابع) قول من يقول بل يفنيها ربها وخالقها تبارك وتعالى فانه جعل لها أمداً تنتهي اليه ثم تفنى ويزول عذابها . قال شيخ الاسلام وقد نقل هذا القول عن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم . وقد روى عبد

(١) تقدم أن بعض اليهود قال ذلك في أمتهم لا في كل الامم (ص٢٦٦ ج ٣ تفسير)

ابن حميد وهو من أجل أئمة الحديث في تفسيره المشهور : حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن قال قال عمر لولبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه . وقال حدثنا حجاج ابن منهال عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن أن عمر بن الخطاب قال لولبث أهل النار في النار عدد رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه . ذكر ذلك في تفسير ثابت قوله تعالى (لابثين فيها أحقابا)فقد رواه عبد وهو من الائمة الحفاظ وعلماء السنة عن هذين الجليلين سليمان بن حرب وحجاج بن منهال كلاهما عن حماد بن سلمة وحسبك به وحماد يرويه عن ثابت وحميد وكلاهما يرويه عن الحسن وحسبك بهذا الاسناد جلالة ، والحسن وان لم يسمع من عمر فانما رواه عن بعض التابعين ولو لم يصح عنده ذلك عن عمر لما جزم به وقال قال عمر بن الخطاب ، ولو قدر انه لم يحفظ عن عمر فتداول هؤلاء الائمة له غير مقابلين له بالانكار والرد مع انهم ينكرون على من خالف السنة بدون هذا فلو كان هذا القول عند هؤلاء الأئمة من البدع المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله واجماع الأئمة لكانوا أول منكر له . قال : ولاريب أن من قال هذا القول عن عمر ونقله عنه انما أراد بذلك جنس أهل النار الذين هم أهلها فأما قوم أصيبوا بذنوبهم فقد علم هؤلاء وغيرهم انهم يخرجون منها وانهم لا يلبثون قدر رمل عالج ولا قريباً منه ، ولفظ أهل النار لايختص بالموحدين بل يختص بمن عداهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لايموتون فيها ولا يحيون » ولا يناقض هذا قوله تعالى (خالدين فيها) وقوله (وما هم منها بمخرجين) بل ما أخبر الله به هو الحق والصدق الذي لايقع خلافه لكن اذا انقضى أجلها وفنيت كما تفنى الدنيا لم تبق ناراً ولم يبق فيها عذاب

قال أرباب هذا القول وفي تفسير علي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس في قوله تعالى (قال النار مثوا كم خالدين فيها الا ماشاء الله ان ربك حكيم عليم) قال لاينبغي لاحد أن يحكم على الله في خلقه ولا ينزلهم جنة ولا ناراً . قالوا وهذا الوعيد في هذه الآية ليس مختصاً باهل القبلة فانه سبحانه قال (ويوم نحشرهم جميعاً يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثوا كم خالدين فيها الا ماشاء الله ان ربك حكيم عليم * وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون)

وأولياء الجن من الانس يدخل فيه الكفار قطعاً فانهم احق بموالاتهم من عصاة المسلمين كما قال تعالى (انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لايؤمنون) وقال تعالى (انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون * انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) وقال تعالى (ان الذين اتقوا اذامسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون * واخوانهم يمدونهم في الغي ثم لايقصرون) وقال تعالى (أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو) وقال تعالى (فقاتلوا أولياء الشيطان) وقال تعالى (أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون) وقال تعالى (وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون) والاستثناء وقع في الآية التي أخبرت عن دخول أولياء الشياطين النار فمن ههنا قال ابن عباس لاينبغي لاحد أن يحكم على الله في خلقه

(قالوا) وقول من قال ان «الا» بمعنى سوى أي سوى ماشاءالله أن يزيدهم من أنواع العذاب وزمنه — لاتخفى منافرته للمستثنى والمستثنى منه وان الذي يفهمه المخاطب مخالفة مابعد «الا» لما قبلها

(قالوا) وقول من قال انه لاخراج ماقبل دخولهم اليها من الزمان كزمان البرزخ والموقف ومدة الدنيا أيضاً لايساعد عليه وجه الكلام فانه استثناء من جملة خبرية مضمونها انهم اذادخلوا النارلبثوا فيها مدة دوام السموات والارض الا ماشاء الله وليس المراد الاستثناء قبل الدخول ، هذا مالا يفهمه المخاطب . ألا ترى أنه سبحانه يخاطبهم بهذا في النار حين يقولون (ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي أجلت لنا) فيقول لهم حينئذ (النار مثواكم خالدين فيها الا ماشاء الله) وفي قوله (ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي اجلت لنا) نوع اعتراف واستسلام وتحسر أي استمتع الجن بنا واستمتعنا بهم فاشتركنا في الشرك ودواعيه وأسبابه وآثرنا الاستمتاع على طاعتك وطاعة رسلك وانقضت آجالنا وذهبت أعمارنا في ذلك ولم نكتسب فيها رضاك وانما كان غاية أمرنا في مدة آجالنا استمتاع بعضنا ببعض . فتأمل مافي هذا من الاعتراف بحقيقة ماهم عليه وكيف بدت لهم تلك الحقيقة ذلك اليوم وعلموا ان الذي كانوا فيه في مدة آجالهم وهو حظهم من استمتاع بعضهم ببعض ولم يستمتعوا بعبادة ربهم ومعرفته وتوحيده ومحبته وايثار مرضاته . وهذا من نمط

قولهم (لوكنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) وقوله (فاعترفوا بذنبهم) وقوله (فعلموا أن الحق لله) ونظائره والمقصود ان قوله (الا ماشاء الله) عائد الى هؤلاء المذكورين مختصا بهم أو شاملا لهم ولعصاة الموحدين وأما اختصاصه بعصاة المسلمين دون هؤلاء فلا وجه له

ولما رأت طائفة ضعف هذا القول قالوا الاستثناء راجع الى مدة البرزخ والموقف وقد تبين ضعف هذا القول

ورأت طائفة أخرى أن الاستثناء يرجع الى نوع آخر من العذاب غير النار (قالوا) والمعنى انكم في النار أبداً الا ماشاء الله أن يعذبكم بغيرها وهو الزمهرير وقد قال تعالى (ان جهنم كانت مرصادا * للطاغين مآبا * لابثين فيها أحقابا) قالوا والابد لايقدر بالاحقاب ، وقد قال ابن مسعود في هذه الآية : ليأتين على جهنم زمان وليس فيها أحد وذلك بعدما يلبثون فيها أحقابا . وعن أبي هريرة مثله ، حكاه البغوي عنهما ثم قال ومعناه عند أهل السنة ان - ثبت - انه لايبقى فيها أحد من أهل الايمان .

قالوا قد ثبت ذلك عن أبي هريرة وابن مسعود وعبدالله بن عمرو ، وقد سأل حرب اسحق ابن راهويه عن هذه الآية فقال سألت اسحق قلت قول الله تعالى (خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك) فقال أتت هذه الآية على كل وعيد في القرآن . حدثنا عبيدالله بن معاذ حدثنا معتمر بن سليمان قال قال أبي حدثنا أبو نضرة عن جابر أو أبي سعيد أو بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : هذه الآية تأتي على القرآن كله « الا ماشاء ربك ان ربك فعال لما يريد » قال المعتمر قال أتى على كل وعيد في القرآن حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا شعبة عن ابي بلج سمع عمرو بن ميمون يحدث عن عبدالله ابن عمرو قال ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد مايلبثون فيها أحقابا . حدثنا عبيدالله حدثنا أبي حدثنا شعبة عن يحيى بن أيوب عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال ما أنا بالذي لا أقول أنه سيأتي على جهنم يوم لايبقى فيها أحد وقرأ قوله (فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق) الآية قال عبيد الله كان أصحابنا يقولون يعني به الموحدين . حدثنا أبو معن حدثنا وهب ابن جرير حدثنا شعبة عن سليمان التيمي عن أبي نضرة عن جابر بن عبد الله أو بعض أصحابه في قوله « خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك » قال

هذه الآية تأتي على القرآن كله

وقد حكى ابن جرير هذا القول في تفسيره عن جماعة من السلف فقال: وقال آخرون عنى بذلك أهل النار وكل من دخلها « ذكر من قال ذلك » ثم ذكر الآثار التي نذكرها . وقال عبد الرزاق أنبأنا ابن التيمي عن أبيه عن أبي نضرة عن جابر أو أبي سعيد أو عن رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله « الا ما شاء ربك ان ربك فعال لما يريد » قال هذه الآية تأتي على القرآن كله يقول حيث كان في القرآن «خالدين فيها» تأتي عليه قال وسمعت أبا مجلز يقول : هو جزاؤه فان شاء الله تجاوز عن عذابه . وقال ابن جرير حدثنا الحسن بن يحيى أنبأنا عبد الرزاق فذكره . قال وحدثت عن المسيب عمن ذكره عن ابن عباس « خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك » قال لا يموتون وما هم منها بمخرجين ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك قال استثنى الله ، قال أمر الله النار أن تأكلهم ، قال وقال ابن مسعود : ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد بعد ما يلبثون فيها احقابا ، حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن بيان عن الشعبي قال : جهنم أسرع الدارين عمرانا واسرعهما خرابا . وحكى ابن جرير في ذلك قولا آخر فقال وقال آخرون أخبرنا الله عز وجل بمشيئته لاهل الجنة فعرفنا معنى ثنيائه بقوله « عطاء غير مجذوذ » وأنها في الزيادة على مقدار مدة السموات والارض قالوا ولم يخبرنا بمشيئته في أهل النار وجائز أن تكون مشيئته في الزيادة وجائز أن تكون في النقصان . حدثني يونس أنبأنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تعالى « خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك » فقرأ حتى بلغ « عطاء غير مجذوذ » فقال أخبرنا بالذي يشاء لاهل الجنة فقال « عطاء غير مجذوذ » ولم يخبرنا بالذي يشاء لاهل النار

وقال ابن مردويه في تفسيره حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا جبير بن عرفة حدثنا يزيد بن مروان الخلال حدثنا أبو خليد حدثنا سفيان يعني الثوري عن عمرو بن دينار عن جابر قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم « فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق *خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان شاء الله أن يخرج أناساً من الذين شقوا من النار فيدخلهم الجنة فعل » وهذا الحديث يدل على أن الاستثناء انما هو للخروج من النار بعد دخولها خلافا لمن زعم انه لما قبل الدخول ولكن انما

يدل على اخراج بعضهم من النار . وهذا حق بلا ريب وهو لا ينفي انقطاعها وفناء عذابها وأكلها لمن فيها وانهم يعذبون فيها دائماً مادامت كذلك وما هم منها بمخرجين ، فالحديث دل على أمرين «أحدهما» ان بعض الاشقياء ان شاء الله أن يخرجهم من النار وهي نار فعل ، وان الاستثناء انما هو فيما بعد دخولها لا فيما قبله ، وعلى هذا فيكون معنى الاستثناء الا ماشاء ربك من الاشقياء فانهم لا يخلدون فيها . ويكون الاشقياء نوعين نوعاً يخرجون منها ونوعاً يخلدون فيها فيكونون من الذين شقوا أولا ثم يصيرون من الذين سعدوا فتجتمع لهم الشقاوة والسعادة في وقتين «١»

قالوا وقد قال تعالى « ان جهنم كانت مرصاداً * للطاغين مآباً * لابثين فيها أحقاباً * لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً * الا حميماً وغساقاً * جزاء وفاقاً * انهم كانوا لا يرجون حساباً * وكذبوا بآياتنا كذاباً » فهذا صريح من وعيد الكفار المكذبين بآياته . ولا يقدر الابدي بعدة الاحقاب ولا غيرها كما لا يقدر به القديم ولهذا قال عبد الله بن عمرو فيما رواه شعبة عن أبي بلج سمع عمرو بن ميمون يحدث عنه : ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقاباً

﴿ فصل والذين قطعوا بدوام النار لهم ست طرق ﴾

« أحدها » اعتقاد الاجماع فكثير من الناس يعتقدون أن هذا مجمع عليه بين الصحابة والتابعين لا يختلفون فيه وان الاختلاف فيه حادث وهو من أقوال أهل البدع

الطريق الثاني — ان القرآن دل على ذلك دلالة قطعية فانه سبحانه أخبر أنه عذاب مقيم ، وانه لا يفتر عنهم ، وانه لن يزيدهم الا عذاباً ، وانهم خالدون فيها أبداً ، وماهم بخارجين من النار ، وماهم منها بمخرجين ، وان الله حرم الجنة على الكافرين ، وانهم لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط ، وانهم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها ، وان عذابها كان غراماً ، أي مقيما لازماً ، قالوا وهذا يفيد القطع بدوامه واستمراره

الطريق الثالث — ان السنة المستفيضة أخبرت بخروج من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان دون الكفار وأحاديث الشفاعة من أولها الى آخرها صريحة بخروج عصاة الموحدين من النار وان هذا حكم مختص بهم فلو خرج الكفار منها لكانوا

«١» الظاهر ان هؤلاء هم النوع الاول فتأمل

بمنزلتهم ولم يختص الخروج بأهل الايمان

الطريق الرابع — ان الرسول وقفنا على ذلك وعلمناه من دينه بالضرورة من غير حاجة بنا الى نقل معين كما علمنا من دينه دوام الجنة وعدم فنائها

الطريق الخامس — ان عقائد السلف وأهل السنة مصرحة بأن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما لا يفنيان بل هما دائمتان وانما يذكرون فناءهما عن أهل البدع

الطريق السادس — ان العقل يقضي بخلود الكفار في النار . وهذا مبني على قاعدة وهي أن المعاد وثواب النفوس المطيعة وعقوبة النفوس الفاجرة هل هو مما يعلم بالعقل أولا يعلم الا بالسمع ؟ فيه طريقتان لنظار المسلمين ، وكثير منهم يذهب الى أن ذلك يعلم بالعقل مع السمع كما دل عليه القرآن في غير موضع كانكاره سبحانه على من زعم انه يسوي بين الابرار والفجار في المحيا والممات، وعلى من زعم أنه خلق خلقه عبثاً وانهم اليه لا يرجعون ، وانه يتركهم سدى أي لا يثيبهم ولا يعاقبهم ، وذلك يقدح في حكمته وكماله وانه نسبة الى ما لا يليق به . وربما قرروه بأن النفوس البشرية باقية واعتقاداتها وصفاتها لازمة لها لا تفارقها وان ندمت عليها لما رأت العذاب فلم تندم عليها لقبحها أو كراهة ربها لها بل لو فارقها العذاب رجعت كما كانت أولا قال تعالى « ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين * بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون » فهؤلاء قد ذاقوا العذاب وباشروه ولم يزل سببه ومقتضيه من نفوسهم بل خبثها قائم بها لم يفارقها بحيث لو ردوا لعادوا كفاراً كما كانوا، وهذا يدل على أن دوام تعذيبهم يقضي به العقل كما جاء به السمع

﴿ قال أصحاب الفناء الكلام على هذه الطرق يبين الصواب في هذه المسألة ﴾

(فأما الطريق الاول) فالاجماع الذي ادعيتموه غير معلوم وانما يظن الاجماع في هذه المسألة من لم يعرف النزاع وقد عرف النزاع فيها قديماً وحديثاً بل لو كلف مدعي الاجماع أن ينقل عن عشرة من الصحابة فما دونهم الى الواحد انه قال ان النار لا تفنى أبداً لم يجد الى ذلك سبيلا ، ونحن قد نقلنا عنهم التصريح بخلاف ذلك فما وجدنا عن واحد منهم خلاف ذلك بل التابعون حكوا عنهم هذا وهذا . قالوا والاجماع المعتد به نوعان متفق عليهما ونوع ثالث مختلف فيه ولم يوجد واحد منها في هذه المسألة

النوع الاول — مايكون معلوماً من ضرورة الدين كوجوب أركان الاسلام وتحريم المحرمات الظاهرة . الثاني — ماينقل عن أهل الاجتهاد التصريح بحكمه . الثالث — أن يقول بعضهم القول وينتشر في الامة ولا ينكره أحد ،فاين معكم واحد من هذه الانواع ؟ ولوان قائلا ادعى الاجماع من هذه الطريق واحتج بأن الصحابة صح عنهم ولم ينكر أحد منهم عليه لكان أسعد بالاجماع منكم

(قالوا وأما الطريق الثاني) وهو دلالة القرآن على بقاء النار وعدم فنائها فاين في القرآن دليل واحد يدل على ذلك ؟ نعم الذي دل عليه القرآن ان الكفار خالدون في النار أبداً ، وانهم غير خارجين منها ، وأنه لا يفتر عنهم من عذابها، وانهم لا يموتون فيها ، وان عذابهم فيها مقيم ، وانه غرام أي لازم لهم . وهذا كله مما لا نزاع فيه بين الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين ، وليس هذا مورد النزاع وانما النزاع في أمر آخر وهو انه هل النار أبدية أو مما كتب عليه الفناء؟ وأما كون الكفار لا يخرجون منها ولا يفتر عنهم من عذابها ولا يقضى عليهم فيموتوا ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط فلم يختلف في ذلك الصحابة ولا التابعون ولا أهل السنة . وانما خالف في ذلك من قد حكينا أقوالهم من اليهود والاتحادية (١) وبعض أهل البدع . وهذه النصوص وأمثالها تقتضي خلودهم في دار العذاب مادامت باقية ولا يخرجون منها مع بقائها البتة كما يخرج أهل التوحيد منها مع بقائها ، فالفرق كالفرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس على حاله وبين من يبطل حبسه بخراب الحبس وانتقاضه

(قالوا وأما الطريق الثالث) وهو مجيء السنة المستفيضة بخروج أهل الكبائر من النار دون أهل الشرك فهي حق لاشك فيه وهي انما تدل على ما

---

(١) يعني بالاتحادية من يقولون بوحدة الوجود كالشيخ محي الدين ابن عربي .وقد فاتني أن أذكر عند حكاية قوله أولا أني رأيت من الصوفية الذين على طريقته رجلا من كبار رجال العسكرية الذين يعتمدون على الكشف ومناجاة أرواح الانبياء والاولياء يدعي أن كلا من الجنة والنار له أجل يعد بألوف الالوف من السنين كعمر النظام الشمسي الذي ينتهي يوم القيامة وانهما زولان بانتهائه كما يزول هذا النظام ثم يتكون نظام آخر من كواكب أخرى مثل هذه الكواكب يكون للبشر فيه حياة أخرى طويلة على نحو ما سبق في حياة كواكب هذا النظام الشمسي الذي يسكن البشر فيه هذه الارض ومابعده من النظام الذي يكونون فيه في الجنة والنار ، ولذلك النظام أيضاً أجل، وهكذا يستمر الامر دواليك الى غير نهاية . وأطوار البشر تختلف في كل نظام نظام بحسب ما يتجدد لهم من العلوم والصفات فيما قبله . وهو خيال غريب كان يطبقه على قواعد علم الهيئة والحساب الرياضي

قلناه من خروج الموحدين منها وهي دار عذاب لم تفن ويبقى المشركون فيها ما دامت باقية والنصوص دلت على هذا وعلى هذا

(قالوا وأما الطريق الرابع) وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفنا على ذلك ضرورة فلاريب انه من المعلوم من دينه بالضرورة أن الكفار باقون فيها مادامت باقية ، هذا معلوم من دينه بالضرورة ، وأما كونها أبدية لاانتهاء لها ولاتفنى كالجنة فأين في القرآن والسنة دليل واحد يدل على ذلك

(قالوا وأما الطريق الخامس) وهو أن في عقائد أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان لا يفنيان أبدا فلا ريب أن القول بفنائهما قول أهل البدع من الجهمية والمعتزلة ، وهذا القول لم يقله أحد من الصحابة ولاالتابعين ولا أحد من أئمة المسلمين ، وأما فناء النار وحدها فقد أوجدنا كم من قال به من الصحابة وتفريقهم بين الجنة والنار فكيف يكون القول به من أقوال أهل البدع مع انه لايعرف عن أحد من أهل البدع التفريق بين الدارين ؟ فقولكم انه من أقوال أهل البدع كلام من لا خبرة له بمقالات بني آدم وآرائهم واختلافهم

(قالوا) والقول الذي يعد من أقوال أهل البدع ما خالف كتاب الله وسنة رسوله واجماع الامة اما الصحابة أو من بعدهم . وأما قول يوافق الكتاب والسنة وأقوال الصحابة فلايعد من أقوال أهل البدع وان دانوا به واعتقدوه ، فالحق يجب قبوله ممن قاله ، والباطل يجب رده على من قاله . وكان معاذ بن جبل يقول : الله حكم قسط ، هلك المرتابون ، ان من ورائكم فتنا يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يقرأه المؤمن والمنافق والمرأة والصبي والاسود والاحمر فيوشك أحدهم أن يقول قد قرأت القرآن فما أظن أن يتبعوني حتى ابتدع لهم غيره ، فاياكم وما ابتدع فان كل بدعة ضلالة ، واياكم وزيغة الحكيم فان الشيطان قد يتكلم على لسان الحكيم بكلمة الضلالة ، وان المنافق قد يقول كلمة الحق ، فتلقوا الحق عمن جاء به فان على الحق نورا . قالوا وكيف زيغة الحكيم ؟ قال هي الكلمة تروعكم وتنكرونها وتقولون ماهذا ؟ فاحذروا زيغته ولا تصدنكم عنه فانه يوشك أن يفيء وان يراجع الحق ، وان العلم والايمان مكانهما الى يوم القيامة . والذي أخبر به أهل السنة في عقائدهم هو الذي دل عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه السلف ان الجنة والنار مخلوقتان وان أهل النار لايخرجون منها ولا يخفف عنهم من عذابها ولا يفتر عنهم وانهم خالدون فيها . ومن ذكر

منهم ان النار لاتفنى أبداً فانما قاله لظنه أن بعض أهل البدع قال بفنائها ولم يبلغه تلك الآثار التي تقدم ذكرها

(قالوا) وأما حكم العقل بتخليد أهل النار فيها فاخبار عن العقل بما ليس عنده فان المسألة من المسائل التي لا تعلم الا بخبر الصادق وأما أصل الثواب والعقاب فهل يعلم بالعقل مع السمع أولا يعلم الا بالسمع وحده ؟ ففيه قولان لنظار المسلمين من اتباع الأئمة الاربعة وغيرهم ، والصحيح أن العقل دل على المعاد والثواب والعقاب اجمالا وأما تفصيله فلا يعلم الا بالسمع ، ودوام الثواب والعقاب مما لا يدل عليه العقل بمجرده وانما علم بالسمع ، وقد دل السمع دلالة قاطعة على دوام ثواب المطيعين ، وأما عقاب العصاة فقد دل السمع أيضاً دلالة قاطعة على انقطاعه في حق الموحدين . وأما دوامه وانقطاعه في حق الكفار فهذا معترك النزال فمن كان السمع في جانبه فهو أسعد بالصواب وبالله التوفيق

﴿ فصل ﴾

ونحن نذكر الفرق بين دوام الجنة والنار شرعا وعقلا وذلك يظهر من وجوه

(أحدها) أن الله سبحانه وتعالى أخبر ببقاء نعيم أهل الجنة ودوامه وانه لا نفاد له ولا انقطاع وانه غير مجذوذ . وأما النار فلم يخبر عنها بأكثر من خلود أهلها فيها وعدم خروجهم منها وانهم لا يموتون فيها ولا يحيون وانها مؤصدة عليهم وانهم كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وأن عذابها لازم لهم وانه مقيم عليهم لا يفتر عنهم ، والفرق بين الخبرين ظاهر

الوجه الثاني — أن النار قد أخبر سبحانه وتعالى في ثلاث آيات عنها بما يدل على عدم أبديتها — الاولى — قوله سبحانه وتعالى (قال النار مثواكم خالدين فيها الا ماشاء الله ان ربك حكيم عليم) — الثانيــة — قوله (خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك ان ربك فعال لما يريد) — الثالثة — قوله (لابثين فيها أحقاباً) ولولا الادلة القطعية الدالة على أبدية الجنة ودوامها لكان حكم الاستثناء في الموضعين واحداً كيف وفي الآيتين من السياق ما يفرق بين الاستثناءين فانه قال في أهل النار (ان ربك فعال لمـا يريد) فعلمنا انه سبحانه وتعالى يريد أن يفعل فعلا لم يخبرنا به ، وقال في أهل الجنة (عطاء غير مجذوذ) فعلمنا ان هذا العطاء والنعيم غير مقطوع عنهم أبداً . فالعذاب موقت معلق والنعيم ليس بموقت ولا معلق

الوجه الثالث — انه قد ثبت ان الجنة لم يدخلها من لم يعمل خيراً قط من المعذبين الذين يخرجهم الله من النار ، وأما النار فلم يدخلها من لم يعمل سوءا قط ولا يعذب الا من عصاه

الوجه الرابع — انه قد ثبت أن الله سبحانه وتعالى ينشيء للجنة خلقاً آخر يوم القيامة يسكنهم اياها ولا يفعل ذلك بالنار وأما الحديث الذي قد ورد في صحيح البخاري من قوله « وأما النار فينشيء الله لها خلقاً آخرين » فغلط وقع من بعض الرواة انقلب عليه الحديث وانما هو ماساقه البخاري في الباب نفسه « وأما الجنة فينشيء الله لها خلقا آخرين » ذكره البخاري رحمه الله مبينا أن الحديث انقلب لفظه على من رواه بخلاف هذا وهذا . والمقصود انه لا تقاس النار بالجنة في التأييد مع هذه الفروق

يوضحه الوجه الخامس — ان الجنة من موجب رحمته ورضاه والنار من غضبه وسخطه، ورحمته سبحانه تغلب غضبه وتسبقه كما جاء في الصحيح من حديث ابي هريرة عنه صلى الله عليه وسلم انه قال «لما قضى الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده موضوع على العرش ان رحمتي تغلب غضبي» واذا كان رضاه قد سبق غضبه وهو يغلبه كان التسوية بين ماهو من موجب رضاه وما هو من موجب غضبه ممتنعاً

يوضحه الوجه السادس — ان ما كان بالرحمة وللرحمة فهو مقصود لذاته قصد الغايات ، وما كان من موجب الغضب والسخط فهو مقصود لغيره قصد الوسائل فهو مسبوق مغلوب مراد لغيره ، وما كان بالرحمة فغالب سابق مراد لنفسه

يوضحه الوجه السابع — وهو انه سبحانه قال للجنة « أنت رحمتي أرحم بك من أشاء. وقال للنار : أنت عذابي أعذب بك من أشاء » وعذابه مفعول منفصل وهو ناشيء عن غضبه ، ورحمته هنا هي الجنة وهي رحمة مخلوقة ناشئة عن الرحمة التي هي صفة الرحمن . فهنا أربعة أمور رحمة هي وصفه سبحانه وثواب منفصل هو ناشئ عن رحمته . وغضب يقوم به سبحانه . وعقاب منفصل ينشأ عنه . فاذا غلبت صفة الرحمة صفة الغضب فلأن يغلب ما كان بالرحمة لما كان بالغضب أولى وأحرى فلا تقاوم النار التي نشأت عن الغضب الجنة التي نشأت عن الرحمة

يوضحه الوجه الثامن — أن النار خلقت تخويفاً للمؤمنين وتطهيراً للخاطئين

والمجرمين ،فهي طهرة من الخبث الذي اكتسبته النفس في هذا العالم،فان تطهرت ههنا بالتوبة النصوح والحسنات الماحية والمصائب المكفرة لم تحتج الى تطهير هناك ، وقيل لهامع جملة الطيبين (سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين) وان لم تتطهر في هذه الدار ووافت الدار الاخرى بدرنها ونجاستها وخبثها أدخلت النار طهرة لها ويكون مكثها في النار بحسب زوال ذلك الدرن والخبث والنجاسة التي لايغسلها الماء فاذا تطهرت الطهر التام أخرجت من النار، والله سبحانه خلق عباده حنفاء وهي فطرة الله التي فطر الناس عليها ، فلوخلوا وفطرهم لما نشؤا الا على التوحيد، ولكن عرض لا كثر الفطر ماغيرها، ولهذا كان نصيب النار أكثر من نصيب الجنة ، وكان هذا التغيير مراتب لايحصيها الا الله فارسل الله رسله وأنزل كتبه يذكر عباده بفطرته التي فطرهم عليها فعرف الموفقون الذين سبقت لهم من الله الحسنى صحة ما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب بالفطرة الاولى فتوافق عندهم شرع الله ودينه الذي أرسل به رسله وفطرته التي فطرهم عليها فمنعتهم الشرعة المنزلة والفطرة المكملة ان تكتسب نفوسهم خبثاً ونجاسة ودرناً يعلق بها ولا يفارقها بل كلما ألم بهم شيء من ذلك ومسهم طائف من الشيطان أغاروا عليه بالشرعة والفطرة فازالوا موجبه وأثره وكل لهم الرب تعالى ذلك باقضية يقضيها لهم مما يحبون أو يكرهون تمحص عنهم تلك الآثار التي شوشت الفطرة ،فجاء مقتضى الرحمة فصادف مكاناً قابلامستعداً لها ليس فيه شيء يدافعه فقال ههنا أمرت

وليس لله سبحانه غرض في تعذيب عباده بغير موجب كما قال تعالى (مايفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان الله شاكراً عليما) واستمر الاشقياء مع تغيير الفطرة ونقلها مما خلقت عليه الى ضده حتى استحكم الفساد وتم التغيير فاحتاجوا في ازالة ذلك الى تغيير آخر وتطهير ينقلهم الى الصحة حيث لم تنقلهم آيات الله المتلوة والمخلوقة وأقداره المحبوبة والمكروهة في هذه الدار، فأتاح لهم آيات أخر وأقضية وعقوبات فوق التي كانت في الدنيا تستخرج ذلك الخبث والنجاسة التي لا تزول بغير النار فاذا زال موجب العذاب وسببه زال العذاب وبقي مقتضي الرحمة لامعارض له

فان قيل : هذا حق ولكن سبب التعذيب لا يزول الا اذا كان السبب عارضاً كمعاصي الموحدين أما اذا كان لازماً كالكفر والشرك فان أثره لا يزول . كما لا يزول

السبب وقد أشار سبحانه الى هذا المعنى بعينه في مواضع من كتابه * منها قوله تعالى (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه) فهذا اخبار بان نفوسهم وطبائعهم لا تقتضي غير الكفر والشرك وانها غير قابلة للايمان أصلا* ومنها قوله تعالى (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا) فاخبر سبحانه أن ضلالهم وعماهم عن الهدى دائم لا يزول حتى مع معاينة الحقائق التي أخبرت بها الرسل واذا كان العمى والضلال لا يفارقهم فان موجبه وأثره ومقتضاه لا يفارقهم* ومنها قوله تعالى (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون) وهذا يدل على انه ليس فيهم خير يقتضي الرحمة ولو كان فيهم خير لماضيع عليهم أثره، ويدل على أنهم لا خير فيهم هناك أيضاً قوله «أخرجوا من النار من كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من خير»(١) فلو كان عند هؤلاء ادنى ادنى مثقال ذرة من خير لخرجوا منها مع الخارجين.

قيل : لعمر الله ان هذا لمن أقوى مايتمسك به في المسئلة وان الامر لكما قلتم وان العذاب يدوم بدوام موجبه وسببه ولاريب انهم في الآخرة في عمى وضلال كما كانوا في الدنيا وبواطنهم خبيثة كما كانت في الدنيا والعذاب مستمر عليهم دائم ماداموا كذلك

ولكن هل هذا الكفر والتكذيب والخبث أمر ذاتي لهم زواله مستحيل أم هو أمر عارض طارئ على الفطرة قابل للزوال ؟ هذا حرف المسئلة وليس بايديكم ما يدل على استحالة زواله وأنه أمر ذاتي ، وقد أخبر سبحانه انه فطر عباده على الحنيفية وان الشياطين اجتالتهم عنها فلم يفطرهم سبحانه على الكفر والتكذيب كما فطر الحيوان البهيم على طبيعته وانما فطرهم على الاقرار بخالقهم ومحبته وتوحيده ، فاذا كان هذا الحق الذي فطروا عليه وخلقوا عليه قد أمكن زواله بالكفر والشرك الباطل، فامكان زوال الكفر والشرك الباطل بضده من الحق أولى وأحرى ، ولاريب انهم لو ردوا على تلك الحال التي هم عليها لعادوا لما نهوا عنه، ولكن من أين لكم ان تلك الحال لا تزول ولا تتبدل بنشأة أخرى ينشئهم فيها تبارك وتعالى اذا أخذت النار مأخذها منهم وحصلت الحكمة المطلوبة من عذابهم فان العذاب لم يكن سدى وانما كان لحكمة مطلوبة فاذا حصلت تلك الحكمة لم يبق في التعذيب أمر يطلب ولا غرض يقصد. والله سبحانه

(١) هذه جملة من حديث قدسي في الصحيح كرر فيه لفظ أدنى في بعض الروايات

ليس يشتفي بعذاب عباده كما يشتفي المظلوم من ظالمه ، وهو لا يعذب عبده لهذا الغرض وانما يعذبه طهرة له ورحمة به فعذابه مصلحة له وان تألم به غاية الالم ، كما أن عذابه بالحدود في الدنيا مصلحة لاربابها ، وقد سمى الله سبحانه الحد عذابا (١) وقد اقتضت حكمته سبحانه ان جعل لكل داء دواء يناسبه ودواء الداء العضال يكون من أشق الادوية والطبيب الشفيق يكوي المريض بالنار كيا بعد كي ليخرج منه المادة الردية الطارئة على الطبيعة المستقيمة وان رأى قطع العضو أصلح للعليل قطعه واذاقه أشد الالم ، فهذا قضاء الرب وقدره في ازالة مادة غريبة طرأت على الطبيعة المستقيمة بغير اختيار العبد فكيف اذا طرأ على الفطرة السليمة مواد فاسدة باختيار العبد وارادته .

واذا تأمل اللبيب شرع الرب تعالى وقدره في الدنيا وثوابه وعقابه في الآخرة وجد ذلك في غاية التناسب والتوافق وارتباط ذلك بعضه ببعض فان مصدر الجميع عن علم تام وحكمة بالغة ورحمة سابغة وهو سبحانه الملك الحق المبين وملكه ملك رحمة واحسان وعدل

الوجه التاسع — ان عقوبته للعبد ليست لحاجته الى عقوبته لا لمنفعة تعود اليه ولا لدفع مضرة وألم يزول عنه بالعقوبة بل يتعالى عن ذلك ويتنزه كما يتعالى عن سائر العيوب والنقائص ، ولا هي عبث محض خال عن الحكمة والغاية الحميدة فانه أيضا يتنزه عن ذلك ويتعالى عنه ، فاما أن يكون من تمام نعيم أوليائه وأحبابه واما أن يكون من مصلحة الاشقياء ومداواتهم أو لهذا ولهذا . وعلى التقادير الثلاث فالتعذيب أمر مقصود لغيره قصد الوسائل لا قصد الغايات ، والمراد من الوسيلة اذا حصل على الوجه المطلوب زال حكمها . ونعيم أوليائه ليس متوقفا في أصله ولا في كماله على استمرار عذاب أعدائه ودوامه . ومصلحة الاشقياء ليست في الدوام والاستمرار وان كان في أصل التعذيب مصلحة لهم

الوجه العاشر — ان رضاء الرب تبارك وتعالى ورحمته صفتان ذاتيتان له فلا منتهى لرضاه بل كما قال أعلم الخلق به « سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته » فاذا كانت رحمته غلبت غضبه فان رضي نفسه أعلى وأعظم فان رضوانه أكبر من الجنات ونعيمها وكل ما فيها وقد أخبر أهل الجنة انه يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم ابداً . وأما غضبه تبارك وتعالى وسخطه

(١) قال تعالى في حد الزاني والزانية « وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين »

فليس من صفاته الذاتية التي يستحيل انفكاكها عنها بحيث لم يزل ولا يزال غضبان والناس لهم في صفة الغضب قولان (أحدهما) أنه من صفاته الفعلية القائمة به كسائر أفعاله (والثاني) انه صفة فعل منفصل عنه غير قائم به . وعلى القولين فليس كالحياة والعلم والقدرة التي يستحيل مفارقتها له والعذاب انما ينشأ من صفة غضبه وما سعرت النار الا بغضبه وقد جاء في أثر مرفوع « ان الله خلق خلقا من غضبه وأسكنهم بالمشرق وينتقم بهم ممن عصاه » فمخلوقاته سبحانه نوعان نوع مخلوق من الرحمة وبالرحمة ونوع مخلوق من الغضب وبالغضب فانه سبحانه له الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي يتنزه عن تقدير خلافه ومنه أنه يرضى ويغضب ويثيب ويعاقب ويعطي ويمنع ويعز ويذل وينتقم ويعفو بل هذا موجب ملكه الحق وهو حقيقة الملك المقرون بالحكمة والرحمة والحمد ، فاذا زال غضبه سبحانه وتبدل برضاه زالت عقوبته وتبدلت برحمته فانقلبت العقوبة رحمة بل لم تزل رحمة وان تنوعت صفتها وصورتها كما كان عقوبة العصاة رحمة واخراجهم من النار رحمة فتقلبوا في رحمته في الدنيا وتقلبوا فيها في الآخرة لكن تلك رحمة يحبونها وتوافق طبائعهم وهذه رحمة يكرهونها وتشق عليهم كرحمة الطبيب الذي يبضع لحم المريض ويلقي عليهم المكاوي ليستخرج منه المواد الردية الفاسدة

فان قيل — هذا اعتبار غير صحيح فان الطبيب يفعل ذلك بالعليل وهو يحبه وهو راض عنه ولم ينشأ فعله به عن غضبه عليه ولهذا لايسمى عقوبة وأما عذاب هؤلاء فانه انما حصل بغضبه سبحانه عليهم وهو عقوبة محضة (قيل) هذا حق ولكن لا ينافي كونه رحمة بهم وان كان عقوبة لهم وهذا كاقامة الحدود عليهم في الدنيا فانه عقوبة ورحمة وتخفيف وطهرة فالحدود طهرة لاهلها وعقوبة وهم لما أغضبوا الرب تعالى وقابلوه بما لا يليق ان يقابل به وعاملوه أقبح المعاملة وكذبوه وكذبوا رسله وجعلوا أقل خلقه وأخبثهم وأمقتهم له نداً له وآلهة معه وآثروا رضاهم على رضاه وطاعتهم على طاعته وهو ولي الانعام عليهم وهو خالقهم ورازقهم ومولاهم الحق اشتد مقته لهم وغضبه عليهم وذلك يوجب كمال أسمائه وصفاته التي يستحيل عليه تقدير خلافها ويستحيل عليه تخلف آثارها ومقتضاها عنها بل ذلك تعطيل لاحكامها كما أن نفيها عنه تعطيل لحقائقها وكلا التعطيلين محال عليه سبحانه فالمعطلون نوعان أحدهما عطل صفاته والثاني عطل أحكامه

وموجباتها وكان هذا العذاب عقوبة لهم من هذا الوجه ودواء لهم من جهة الرحمة السابقة للغضب فاجتمع فيه الامران فاذا زال الغضب بزوال سببه وزالت المادة الفاسدة بتغيير الطبيعة المقتضية لها في الجحيم بمرور الاحقاب عليها وحصلت الحكمة التي أوجبت العقوبة عملت الرحمة عملها وطلبت أثرها من غير معارض

(يوضحه الوجه الحادي عشر) وهو أن العفو أحب اليه سبحانه من الانتقام والرحمة أحب اليه من العقوبة ، والرضا أحب اليه من الغضب، والفضل أحب اليه من العدل ، ولهذا ظهرت آثار هذه المحبة في شرعه وقدره، ويظهر كل الظهور لعباده في ثوابه وعقابه ، واذا كان ذلك أحب الامرين اليه وله خلق الخلق وانزل الكتب وشرع الشرائع وقدرته سبحانه صالحة لكل شيء لا قصور فيها بوجه ما وتلك المواد الردية الفاسدة مرض من الامراض وبيده سبحانه الشفاء التام والادوية الموافقة لكل داء وله القدرة التامة والرحمة السابغة والغنى المطلق وبالعبد أعظم حاجة الى من يداوي علته التي بلغت به غاية الضرر والمشقة وقد عرف العبد انه عليل وان دواءه بيد الغني الحميد فتضرع اليه ودخل به عليه واستكان له وانكسر قلبه بين يديه وذل لعزته وعرف ان الحمد كله له وان الحق كله له وانه هو الظلوم الجهول وان ربه تبارك وتعالى عامله بكل عدله لا ببعض عدله وان له غاية الحمد فيما فعل به وان حمده هو الذي أقامه في هذا المقام وأوصله اليه وأنه لا خير عنده من نفسه بوجه من الوجوه بل ذلك محض فضل الله وصدقته عليه وانه لا نجاة له مما هو فيه الا بمجرد العفو والتجاوز عن حقه فنفسه أولى بكل ذم وعيب ونقص وربه تعالى أولى بكل حمد وكمال ومدح فلو أن أهل الجحيم شهدوا نعمته سبحانه ورحمته وكماله وحمده الذي أوجب لهم ذلك فطلبوا مرضاته ولو بدوامهم في تلك الحال وقالوا ان كان مانحن فيه رضاك فرضاك الذي نريد وما أوصلنا الى هذه الحال الا طلب مالا يرضيك فأما اذا ارضاك هذا منا فرضاك غاية مانقصده (وما لجرح اذا أرضاك من ألم) وأنت أرحم بنا من أنفسنا وأعلم بمصالحنا ولك الحمد كله عاقبت اوعفوت لا نقلبت النار عليهم برداً وسلاما (وقد روى الامام أحمد) في مسنده من حديث الاسود بن سريع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يأتي أربعة يوم القيامة رجل أصم لايسمع شيئاً ورجل أحمق ورجل هرم ورجل مات في فترة فأما الاصم فيقول: رب لقد جاء الاسلام وما أسمع شيئاً ، وأما الاحمق فيقول رب لقد جاء الاسلام والصبيان يحذفوني بالبعر وأما الهرم فيقول ربي لقد جاء الاسلام وما

فتاوى المنار

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة اذ لا يسع الناس عامة، ونشترط على السائل أن يبين اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك أن يرمز الى اسمه بالحروف أو يعبر بما شاء من الالقاب ان شاء . وأننا نذكر الاسئلة بالترتيب غالباً وربما قدمنا متاخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه ، وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن مضى على سؤاله شهران أو ثلاثة أن يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان لنا عذر صحيح لاغفاله

مأتم عاشوراء واقتحام الشيعة النار فيه

(س ١) من صاحب الامضاء في (زنجبار)

الى حضرة جناب الافخم العلامة الاستاذ السيد محمد رشيدرضا المحترم. دام اقباله

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : سيدي بطي الاحرف ورقة قطعناها من الجريدة الرسمية بزنجبار أحببنا أن نطلعكم عليها مضمونها أن الشيعة الامامية الاثنا عشرية يوقدون في ليلة العاشر من المحرم في حفرة طويلة عريضة نارا قوية ويمرون فوقها ولا تحرقهم. وكنا قبلُ نسمع بهذا العمل انه في الهند وهذه السنة شاهدنا بأعيننا هذا العمل بطرفنا . ويزعمون انها معجزة من معجزات أهل البيت وكذلك يزعمون ان شجرة في الهند يخرج منها دم في كل شهر محرم. وقد كثر من اخواننا الشيعة بطرفنا مثل هذه الاشياء . ولولا أن بين أيدينا كتب العلامة ابن تيمية قدس الله روحه لكان أكثر الناس تشيعوا . وقد عرفناكم بذلك لاجل أن تبينوا لنا الحقيقة على صفحات المنار حتى ينجلي ما التبس علينا ، ولكم من الله الاجر ، ومن خلقه الشكر، والسلام من صغيركم صلاح الدين بن ناجي بن علي الكسادي

من زنجبار في ٢٣ المحرم سنة ١٣٣٩

ترجمة ما نشر في جريدة زنجبار الرسمية الانكليزية

أرسل الينا الوصف الآتي للاعياد الحلية لعاشر المحرم ولعله يلذ القراء : من المعلوم الذي لاشك فيه ان تذكار استشهاد الحسين هو من أهم الاعياد الاسلامية لان أول صدع عظيم حدث في الاسلام كان بناء على هذا الحادث ، أعني مسألة الحق بالخلافة

تحتفل فرقة الشيعة في زنجبار كل سنة باستشهاد الحسين بشعور انفعالي عظيم ذي تأثير شديد . ففي ليلة العاشر من المحرم يضرب المخلصون صدورهم ورءوسهم ويخوضون في النار وهم ينادون باسم محمد والحسين بنغمة مؤثرة تبكي الناظرين ، بل تحزن صدر السنيين ، وغيرهم من المتفرجين ، ولا يصاب أحد من المخلصين بضرر. ثم ذكرت الجريدة ان عاشوراء هذه السنة كانت أول فرصة حدث فيها الاحتفال باقتحام النار في جزيرة زنجبار اه

(ح) ان اقتحام بعض أفراد الشيعة الامامية النار في الاحتفال بذكرى استشهاد الامام الحسين السبط عليه السلام في عاشوراء له نظير عند بعض المنتمين الى الطريقة الرفاعية وغيرها من طرق المتصوفة . ومنهم من يحمي حديدة في النار حتى تحمر ثم يلحسها بلسانه حتى تبرد ويزول احمرارها . وكثير من الناس المنتمين الى أديان ومذاهب ونحل مختلفة في أقطار كثيرة يأتون بأعمال غريبة في نظر جماهير الناس وهذه الاعمال الغريبة التي تتناقل جميع الامم أخبارها ثلاثة أنواع

(أحدها) صناعة الشعوذة التي يحذقها بالتعلم والتمرن وخفة الحركة أناس كثيرون فيأتون من الاعمال ما يعجز عنه غيرهم وقد تخيل الى الناظر الشيء على غير صورته أو حقيقته كأن ترى لسان أحدهم يصيب النار وهو لا يمسها بل يقرب منها ويلقي لعابه عليها . وأسهل من ذلك اقتحام نار موقدة بسرعة لا تكفي للحوق النار بالمقتحم ، وقد رأينا بعض الصبيان في بعض قرى سورية يتبارون في اقتحام نار يوقدونها وقلما تعلق بثوب أحد منهم

(النوع الثاني) غرائب حقيقية يستعان عليها بالعلم بخواص الاشياء كعلم الكيمياء والكهرباء وغيرها . وانما تكون غرائب عند الجاهل بأسبابها وكذلك النوع الاول انما

يراه غريبا من يجهل تلك الصناعة وما فيها من الحيل والتخيل

(النوع الثالث) غرائب مصدرها تأثير النفس الانسانية بقوة ارادتها وغيرها من الخواص الروحانية كاستعدادها للعلم ببعض الامور الواقعة أو المستقبلة من غير طريقي الحس والفكر . وهذا النوع يتفاوت أهله فيه تفاوتا عظيما بالاستعداد الفطري وبالرياضة الروحية

والمتكلمون يطلقون على كل ماجاء على خلاف المعروف المعهود مما لا يعرف له سبب كلمة (خوارق العادات) ويعدون منها الآيات التي يؤيد الله تعالى بها رسله عليهم السلام ويسمونها المعجزات . والخوارق الحقيقية لا تتكرر كثيرا لان مايتكرر هو عادي لانه يعود كما بدأ ، وكل ماكان عن علم أو صناعة أو قوة نفسية تستخدمها الارادة البشرية فهو من جنس المعتاد ويتكرر، لان صاحبه يفعله بارادته واختياره ، وانحصاره في أفراد وفئات من الناس هو كانحصار سائر الصناعات والعلوم في متعلميها ومزاوليها وقوة الاستعداد الجسدي في أهلها

وأما آيات الرسل التي أيدهم الله تعالى بها للدلالة على صدقهم في دعوى الرسالة عنه فليست مما تتعلق به قدرتهم وارادتهم بحيث يأتونها متى شاؤا كسائر أفعالهم الاختيارية ولا مما يتلقى بالتعليم ، ولذلك أمر الله تعالى خاتم رسله الذي أكمل دينه به ان يجيب من اقترحوا عليه الآيات بقوله (قل انما الآيات عند الله) بقوله (سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا) ولكنها من شئونه تعالى يجريها على أيديهم متى شاء اما بغير كسب منهم البتة كاعجاز القرآن وعصا موسى واما مقارنة لكسب مّا منهم يأتونه باذنه ليس له من التأثير في خرق العادة الا الصورة كرمي نبينا (ص) المشركين بقبضة من الرمل على البعد منهم أصابت أعينهم على كثرتهم وبعدهم عنه واختلاف أوضاعهم وحالاتهم عند الرمي ، وذلك قوله تعالى له (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) ومن هذا القبيل ابراء الاكمه والابرص واحياء الموتى لعيسى (ع م) وان جاز أن تكون قوة روحانيته الوهبية هي المؤثرة باذن الله تعالى فيه . وكرامات الاولياء اكثر ماتكون من النوع الثالث للغرائب .

وأما السحر فليس من خوارق العادات في شيء وانما هو صناعة تؤخذ بالتعلم

والتمرن وتدخل فيما ذكرنا من أنواع الغرائب المعتادة التي يقصد بها الكيد والمكر والخداع ولذلك اتهم فرعون السحرة بأن ما فعلوه مع موسى مكر مكروه في المدينة متواطئين عليه ، وقال تعالى لموسى (انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى) وقال في تأثير كيدهم وشعوذتهم فيه (يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى) وذكر ان هاروت وماروت كانا يعلمان الناس السحر ببابل ، وخوارق العادات لا تكون بالتعلم كما تقدم وفاقا لما قاله الشيخ محيي الدين بن العربي

اذا تدبر السائل ماتقدم علم أن ما ذكره من اقتحام بعض الشيعة للنار هو مما ذكرنا من العادات المكررة ، والشجرة التي زعموا انها تقطر دماً في شهر المحرم لا وجود لها . فأنا لم أسمع بها قبل ورود هذا السؤال لا في بلاد الهند أيام كنت فيها ولا في غيرها ولما جاء هذا السؤال سألت عنها بعض أفاضل الشيعة الذين يعرفون الهند وايران والعراق فقال لم نسمع بذكر هذه الشجرة في الهند ولا في ايران ولا في العراق . وهذه الاقطار الثلاثة هي مواطن الشيعة الامامية ومأوى الملايين منهم وفيها معاهدهم الدينية الكبرى فكيف يجهل فيها أمر هذه الشجرة و يعرف في زنجبار وحدها

وهب أن ماذكر من اقتحام النار لادخل فيه لصنعة ولا خفة وانه كرامة لاهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فأي دخل في ذلك لمذهب الامامية يقتضي لترك غيره اليه ؟ وهل هو الا مذهب موافق لسائر مذاهب المسلمين المعروفة في اكثر مسائل العبادات والمعاملات ومخالف لها في مسائل قليلة كما يخالف بعضها بعضاً. وجميع أصحاب المذاهب الاسلامية يجلون آل بيت الرسول عليه الصلاة والسلام ويحبونهم و يوالونهم و يرون انهم أهل لكل كرامة من الله تعالى في الدنيا والآخرة الا ما شذ فيه بعض الخوارج الذين يتبرءون من أمير المؤمنين علي المرتضى كرم الله تعالى وجهه ومن أفراد آخرين من الصحابة وأئمة الدين ، وأس الاسلام ما أجمع عليه المسلمون ولا سيما في الصدر الاول وكل ماوقع فيه الخلاف بين أئمة العلم والفقه فهو من المسائل غير القطعية في الدين التي يختلف فيها الاجتهاد ، ولا ينحصر الصواب فيها بفرد من الافراد ، وفي كل من المنتمين الى المذاهب المنتشرة صالحون وطالحون وابرار وفجار ، فان أوتي أحد الصالحين من أهل مذهب منها كرامة فلا وجه لجعلها

حجة على ترجيح مذهبه على سائر المذاهب في جميع المسائل الخلافية ولا في بعضها، ولوكان حجة لاستغني به عن الاجتهاد والاستدلال

استطراد في تفرق المسلمين والعبرة بمأتم عاشوراء

سبق لنا البحث في أمثال هذه المسائل مراراً ، وانه ليحزننا انالانزل في أشد الحاجة الى تكرير تذكير عامة أخواننا المسلمين من جميع المذاهب في جميع الاقطار بأنه قد آن لهم ان يتركوا هذا التغاير والتناظر في المذاهب الذى أضعف الدين، وفرق كلة المسلمين ، فان المصائب العامة المشتركة أفصح معلم ،وأحكم مؤدب،وقد توالت عليهم نذرها ، ووضحت لهم عبرها ، ولا سيما في هذه السنين ، (أولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لايتوبون ولاهم يذكرون) بلى قد رأى الاكثرون مالم يكونوا يرون ولكنهم لايزالون يعمهون ، وقد أضاعوا أعظم الفرص، ولايزال لديهم مجال للعمل ، فان أضاعوا بقية الفرصة فهم هالكون

قد كانت ذكرى قتل الحسين واقامة المأتم له مما يقصد به غلاة الساسيين من الباطنية واتباعهم زيادة التفريق بين المسلمين وتأريث الضغائن والاحقاد بينهم استرسالا مع تلك الدسائس المجوسية التي دست في الصدر الاول الكيد للمسلمين الذين أزالوا ملك المجوس وسلطانهم الديني وملكهم الكسروي ، وكان جميع الصادقين في الاسلام من شيعة آل البيت النبوي وغيرهم غافلين عن ذلك جاهلين به ، وظل بعض المتعصبين يقصد بمثله في بعض الاوقات تقوية العصبية والتذكير بأخذ الثار من المعتدين الظالمين . ولكن من هم اليوم ؟ واعادة الحق الى الائمة الوارثين ، وأين هم اليوم ؟ فعل العباسيون ببني أمية فعلتهم ، وفعل العبيديون بالعباسيين فعلتهم . وصار المسلمون دول كثيرة أحاط بها الخطر منذ قرنين أو أكثر ، فأي استعداد اتخذ لذلك في مجموع الامة الاسلامية أو في أي مملكة من ممالكها ؟ أين هم من العمل بما صح من ان مات وليس في عنقه بيعة لامام مات ميتة جاهلية؟ لقد مزقوا نسيج الوحدة ، ولم يبق من الجامعة الدينية في أي جماعة منهم الا أسباب الفرقة ؛ ولقدصار هذا المأتم كسائرما أحدث المسلمون المختلفو المذاهب من الاحتفالات باسم الدين : عادات تقليدية ، تشبه الملاهي التي تجتمع الناس لسماع القصص التاريخية

والخيالية، بل هي أقل فائدة وأكبر ضررا من تمثيل القصص المذكورة في الامم الحية
لو كان المسلمون يعيشون عيشة الجد لجعلوا الاجتماع في عاشوراء لذكرى مولد الامام الحسين (عليه رضوان الله وسلامه) وسيلة سياسية لاحياء المقصد العظيم الذي بذل هذا السبط الشهيد السعيد حياته العالية الغالية في سبيله لاحدثا دينيا يزيد تفريق الكلمة ولا لعبا بالسلاح والنار وندبا بالخطب والاشعار لا يبعث على اقامة حق، ولا تجديد ملك بل هو اما أن يضر واما أن لا ينفع — ذلك المقصد الذي لم ترتق أمة من الامم الراقية في هذا العصر الا على أيدي رجال من أهله يصح ان يسموا حسينيين بما كان من استهانتهم بالحياة الدنيا في سبيل دك سلطان الظلمة المستبدين بأمتهم واقامة سلطة عادلة مقيدة برأي الامة مكانها. ذلك هو الامام الاعظم لمن تسميهم الامم العزيزة اليوم بالفدائيين المنقذين لها، فهل يوجد أحد من زعماء مأتم عاشوراء في قطر من الاقطار بث هذه الفكرة فيه أو فكر فيها؟

(شاهد تاريخي في مأتم عاشوراء)

كان الباطنية من زنادقة المجوس وغيرهم ممن قبل دعوتهم قد اتخذوا شيعة آل البيت ذريعة الى مقصدهم السياسي الذي ذكرناه آنفا وسبق لنا بيانه من قبل. وكان جل كيدهم موجها الى جعل ملك الاسلام في قبضتهم ليمكنوا من قتله بسيفه، وقد نجحوا بتأسيس الدولة العبيدية الفاطمية بمصر، ولكن هذه الدولة زالت قبل ان يتمكنوا من ازالة الاسلام بها. وهذه الدولة هي التي أحدثت مأتم عاشوراء في مصر للمقصد الذي قامت به، واننا نورد من تاريخ المقريزي الشهير صفة مأتم عاشوراء عندهم وهو:

(ماكان يعمل في يوم عاشوراء)

قال ابن ذولاق في (كتاب سيرة المعز لدين الله) في يوم عاشوراء من سنة ثلاث وستين وثلثمائة انصرف خلق من الشيعة وأشياعهم الى المشهدين قبر كلثوم ونفيسة ومعهم جماعة من فرسان المغاربة ورجالتهم بالنياحة والبكاء على الحسين عليه السلام وكسروا أواني السقائين في الاسواق وشققوا الروايا وسبوا من ينفق في هذا اليوم ونزلوا حتى بلغوا مسجد الريح وثارت عليهم جماعة من رعية أسفل فخرج أبو محمد الحسين بن عمار وكان يسكن هناك في دار محمد بن أبي بكر وأغلق الدرب ومنع

الفريقين ورجع الجميع لحسن موقع ذلك عند المعز ولولا ذلك لعظمت الفتنة لان الناس قد أغلقوا الدكاكين وأبواب الدور وعطلوا الاسواق وانما قويت أنفس الشيعة بكون المعز بمصر وقد كانت مصر لا تخلو منهم في أيام الاخشيدية والكافورية في يوم عاشوراء عند قبر كلثوم وقبر نفيسة وكان السودان وكافور يتعصبون على الشيعة وتتعلق السودان في الطرقات بالناس ويقولون للرجل : من خالك؟ فان قال معاوية أكرموه وان سكت لقي المكروه وأخذت ثيابه وما معه حتى كان كافور قد وكل بالصحراء ومنع الناس من الخروج

وقال المسيحي وفي يوم عاشوراء يعني من سنة ست وتسعين وثلثمائة جرى الامر فيه على ما يجري كل سنة من تعطيل الاسواق وخروج المنشدين الى جامع القاهرة ونزولهم مجتمعين بالنوح والنشيد ثم جمع بعد هذا اليوم قاضي القضاة عبد العزيز ابن النعمان سائر المنشدين الذين يتكسبون بالنوح والنشيد وقال لهم لاتلزموا الناس أخذ شيء منهم اذا وقفتم على حوانيتهم ولا تؤذوهم ولا تتكسبوا بالنوح والنشيد ومن أراد ذلك فعليه بالصحراء . ثم اجتمع بعد ذلك طائفة منهم يوم الجمعة في الجامع العتيق بعد الصلاة وأنشدوا وخرجوا على الشارع بجمعهم وسبوا السلف فقبضوا على رجل ونودي عليه هذا جزاء من سب عائشة وزوجها صلى الله عليه وسلم وقدم الرجل بعد النداء وضرب عنقه

وقال ابن المأمون وفي يوم عاشوراء يعني من سنة خمس عشرة وخمسمائة عبي السماط بمجلس العطايا من دار الملك بمصر التي كان يسكنها الافضل بن أمير الجيوش وهو السماط المختص بعاشوراء وهو يعبى في غير المكان الجاري به العادة في الاعياد ولا يعمل مدورة خشب بل سفرة كبيرة من أدم والسماط يعلوها من غير مرافع نحاس وجميع الزبادي أجبان وسلائط ومخللات وجميع الخبز من شعير وخرج الافضل من باب فرد الكم وجلس على بساط صوف من غير مشورة واستفتح المقرئون واستدعى الاشراف على طبقاتهم وحمل السماط لهم وقد عمل في الصحن الاول الذي بين يدي الافضل الى آخر السماط عدس أسود ثم بعده عدس مصفى الى آخر السماط ثم رفع وقدمت صحون جميعها عسل نحل ولما كان يوم عاشوراء من سنة ست عشرة

وخمسمائة جلس الخليفة الآمر بأحكام الله على باب الباذهنج يعني من القصر بعد قتل الافضل وعود الاسمطة الى القصر على كرسي جريد بغير مخدة متلثما هو وجميع حاشيته فسلم عليه الوزير المأمون وجميع الامراء الكبار والصغار بالقرامبز وأذن للقاضي والداعي والاشراف والامراء بالسلام عليه وهم بغير مناديل ملثمون حفاة وعبي السماط في غير موضعه المعتاد وجميع ماعليه خبز الشعير والحواضر على ماكان في الايام الافضلية وتقدم الى والي مصر والقاهرة بأن لا يمكنا أحدا من جمع ولا قراءة مصرع الحسين وخرج الرسم المطلق للمتصدرين والقراء الخاص والوعاظ والشعراء وغيرهم على ما جرت به عادتهم. قال وفي ليلة عاشوراء من سنة سبع عشرة وخمسمائة اعتمد الاجل الوزير المأمون على السنة الافضلية من المضي فيها الى التربة الجيوشية وحضور جميع المتصدرين والوعاظ وقراء القرآن الى آخر الليل وعوده الى داره واعتمد في صبيحة الليلة المذكورة مثل ذلك وجلس الخليفة على الارض متلثما يرى به الحزن وحضر من شرف بالسلام عليه والجلوس على السماط بما جرت به العادة

قال ابن الطوير اذا كان اليوم العاشر من المحرم احتجب الخليفة عن الناس فاذا علا النهار ركب قاضي القضاة والشهود وقد غيروا زيهم فيكونون كما هم اليوم ثم صاروا الى المشهد الحسيني وكان قبل ذلك يعمل في الجامع الازهر فاذا جلسوا فيه ومن معهم من قراء الحضرة والمتصدرين في الجوامع جاء الوزير فجلس صدرا والقاضي والداعي من جانبيه والقراء يقرؤن نوبة بنوبة وينشد قوم من الشعراء غير شعراء الخليفة شعرا يرثون به أهل البيت عليهم السلام، فان كان الوزير رافضيا تغالوا وان كان سنيا اقتصدوا ولا يزالون كذلك الى أن تمضي ثلاث ساعات فيستدعون الى القصر بنقباء الرسائل فيركب الوزير وهو بمنديل صغير الى داره ويدخل قاضي القضاة والداعي ومن معهما الى باب الذهب فيجدون الدهاليز قد فرشت مصاطبها بالحصر بدل البسط وينصب في الاماكن الخالية من المصاطب دكك لتلحق بالمصاطب لتفرش ويجدون صاحب الباب جالسا هناك فيجلس القاضي والداعي الى جانبه والناس على اختلاف طبقاتهم فيقرأ القراء وينشد المنشدون أيضا ثم يفرش عليها سماط الحزن مقدار الف زبدية من العدس والملوحات والمخللات والاجبان والالبان الساذجة

والاعسال النحل والفطير والخبز المغير لونه بالقصد فاذا قرب الظهر وقف صاحب الباب وصاحب المائدة وأدخل الناس للاكل منه فيدخل القاضي والداعي ويجلس صاحب الباب نيابة عن الوزير والمذكوران الى جانبه وفي الناس من لايدخل ولا يلزم أحد بذلك فاذا فرغ القوم انفصلوا الى أما كنهم ركبانا بذلك الزي الذي ظهروا فيه وطاف النواح بالقاهرة ذلك اليوم وأغلق البياعون حوانيتهم الى جواز العصر فيفتح الناس بعد ذلك وينصرفون اه ماجاء في تاريخ المقريزي عقب الكلام على المشهد الحسيني وذكر خلاصة مقتل الامام الحسين . ثم قال في باب بيان أعياد الفاطميين ومواسمهم مانصه :

﴿ يوم عاشوراء ﴾ كانوا يتخذونه يوم حزن تتعطل فيه الاسواق ويعمل فيه السماط العظيم المسمى سماط الحزن وقد ذكر عند ذكر المشهد الحسيني فانظره وكان يصل الى الناس منه شيء كثير فلما زالت الدولة اتخذ الملوك من بني أيوب يوم عاشوراء يوم سرور يوسعون فيه على عيالهم ويتبسطون في المطاعم ويصنعون الحلاوات ويتخذون الاواني الجديدة ويكتحلون ويدخلون الحمام جرياً على عادة أهل الشأم التي سنها لهم الحجاج في أيام عبد الملك بن مروان ليرغموا بذلك آناف شيعة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن فيه على الحسين بن علي لانه قتل فيه وقد أدركنا بقايا مما عمله بنو أيوب من اتخاذ يوم عاشوراء يوم سرور وتبسط وكل الفعلين غير جيد والصواب ترك ذلك والاقتداء بفعل السلف فقط * وما أحسن قول أبي الحسين الجزار الشاعر يخاطب الشريف شهاب الدين ناظر الاهراء وكتب بها اليه ليلة عاشوراء عند ما أخر عنه ما كان من جاريه في الاهراء

قل لشهاب الدين ذي الفضل الندي والسيد بن السيد بن السيد
أقسم بالفرد العلي الصمد ان لم يبادر لنجاز موعدي
لاحضرن للهناء في غد مكحل العينين مخضوب اليد

يعرض للشريف بما يرمى به الاشراف من التشيع وانه اذا جاءه بهيئة السرور في يوم عاشوراء غاظه ذلك لانه من أفعال الغضب وهو من أحسن ماسمعته في التعريض فلله دره

باب المراسلة والمناظرة

خطبة للشيخ محمد أبو زيد

خطبها في الاحتفال برأس السنة الهجرية سنة ١٣٣٩

وفيها اتفاقية الصلح بين الرسول وخصومه

أحمد الله تعالى ثم أقول في هذا الاسبوع توالت الاعياد الثلاثة العيد المصري (عيد النيروز) والعيد العبري والعيد الهجري وتوالي هذه الاعياد يبشرنا بأن الخير سيتوالى على مصر وأبنائها

الحوادث مرجع التاريخ

جرت عادة الامم على أن تؤرخ بالحوادث فاذا كانت لها حادثة مهمة جعلتها مبدأ لتاريخها . انظر العرب قبل الاسلام كانوا يرجعون الى الحوادث في التاريخ فيقولون عام الفيل ويوم الحرب الفلانية . وانظر المسيحيين جعلوا تاريخهم حادثة الشهداء الذين اضطهدهم الرومان وأبوا الا أن يموتوا ضحية دينهم ومبدئهم

فوائد الاحتفال بالاعياد

وفي الاحتفال بالاعياد فوائد ينبغي لنا أن نراعيها — منها احياء ذكرى العاملين وتخليد آثارهم لنقتدي بهم في خلقهم وعلمهم ، ومنها ارتباط الحاضر بالماضي ارتباطا يجدد للامة قوتها ويحفظ لها شخصيتها ، ومنها تربية الشعور والعواطف على الاتحاد والتعاون فيشعر كل فرد في الاجتماع بأنه قوي بقوة المجتمعين مؤيد بروحهم ، وروح الاجتماع معروف تأثيرها في النفوس والاعمال

ثم من الفوائد كذلك أن تحاسب الامة نفسها على ماعملته في الماضي وما تعده للمستقبل فتنظر كما ينظر التاجر في آخر كل سنة مقدار الربح أو الخسارة فان كان عندها ضعف في الداخلية أو الخارجية ورأت نفسها قد قصرت فيما مضى فانها تتوب الى الله تعالى وتعمل على تقوية هذا الضعف وتحترس من أن تقع في مثله في المستقبل وان رأت انها لم تقصر وانها قوية متقدمة فانها تشكر الله الذي وفقها ثم تستزيد من الاعمال الرابحة المقدمة

هجرة النبي حادثة عظيمة

هذا وان هجرة النبي حادثة عظيمة اذ كانت سببا في احداث اصلاح عظيم وفتحا لباب استقلال جديد وقبل أن أبين هجرته أذكر حكمة ارساله وارسال من سبقه من الرسل صلوات الله عليهم أجمعين

حكمة ارسال الرسل

خلق الله الناس أحرارا مستقلين فاقتضت حكمته وهو وليهم واليه يرجع أمرهم أن يربيهم تربية عملية تثبت في نفوسهم ما فطرهم عليه من الحرية والاستقلال فاختار منهم رسلا مربين لا تذل نفوسهم لشهوة أو هوى ولا تضعف ارادتهم أمام سلطة أو استبداد وأرسلهم بالتعاليم الهادية الى سعادة الدنيا والآخرة

ولو رجعنا الى ماكان يدعو اليه كل رسول لوجدناهم متحدين في الدعوة وكلهم يدعو الى التوحيد (ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره) وفي هذا منتهى العزة للنفوس اذ انها لاتستعبد الا لربها الذي يربيها على نعمه ويواليها بفضله واحسانه، والله سبحانه لم يجعل جنسا عبدا لجنس ولم يفاضل بين عباده الا بقوله (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم ان الله عليم خبير) فالاكرم عند الله من يتخلق بأخلاق الله فلا يستبد بالناس ولا ينقص من حريتهم والله تعالى قد أرسل الرسل تأييدا لهذا المبدأ مبدأ السير بالناس الى الحرية واخراجهم من الاستبداد

موسى الرسول في مصر وصاحب الهجرة

تعلمون حادثة موسى لما أرسله الله لانقاذ بني اسرائيل من استعباد فرعون قال الله (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات الى النور)

وما كانت الظلمات الا السلطات الاستبدادية التي أماتت ارادة القوم وقضت على حريتهم وايمانهم وما النور الا الاستقلال الذي فيه يحيا الشعور وينمو الايمان وتقوى الارادة

كذلك قال الله لرسوله محمد (كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور)

ايذاء المشركين إياه

اذا علمنا ان الله بعث الرسل لهدم قواعد الاستبداد والظلم، ونشر مبادئ المساواة والعدل ، فاننا نعلم السبب في الايذاء الذي كان يفعل بهم ، والعقبات التي كانت توضع في طريقهم ، وذلك أن المستبدين بالشعب المتحكمين في رقبته يخشون من كل مبدأ يزلزل استبدادهم ، ويخافون من كل عمل يوجد المساواة بينهم وبين المغلوبين لهم ، المقهورين بسلطتهم ، فلذا تراهم عند مايشعرون بمصلح يأخذون في محاربته ويسعون في صده عن سبيله بكل مايستطيعون

الحيلولة بينه و بين الشعب

ولعلمهم بأن الشعب يتأثر بهذه المبادئ تجدهم يحرصون على أن يحولوا بين هذا المصلح والشعب فالشعب المحكوم بالاستبداد مهما جبن ومهما ضعفت ارادته فانه باسماعه مبادئ الحرية وتكريرها على نفسه تنبعث فيه روح العمل لما فيخشى المستبدون به ذلك ولا يمكنون المصلح منه ، وانظر قول الله في أعداء الرسول لما كانوا يرونه متصلا بالشعب يتلو آيات القرآن (وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون)

صبر النبي وقوة ارادته

واخيرا تضايقوا منه [١] فرجعوا الى عمه ابي طالب — وكانت صلته بهتحميه من القتل — فقالوا قل لابن أخيك يرجع عما هو فيه والا نكون في حل مما نوقعه به. فلما عرض عليه عمه ذلك تحمس وقال : والله ياعم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري مارجعت عن دعوة ربي حتى أبلغها أو أموت دونها

فنعمت هذه الروح العالية وبعثت هذه المبادئ العالية

سبب هجرته

لما مات عمه تآمر الخصوم على قتله فأوحى الله اليه بأن يهاجر الى يثرب حيث يجد الانصار والمساعدين فيعمل على تقوية نفسه ونشر مبادئه فهاجر طوعا لربه

(١) تعدى عامة بلادنا تضايق بمن ولم يرد في معاجم اللغة التي في أيدينا

في الله والاوطان سمي مهاجر لله لم يجبن ولم يتأثم
لم يرض يثرب بعد مكة موطنا إلا خضوعاً للمليك الاعظم
ما زال فيها غادياً أو رائحا ابداً يحن الى الحطيم وزمزم
علم النبوة والمفاخر كلها وخلاصة الشرف الذي لم يثلم
علمتنا حب البلاد عقيدة لايعلم الايمان مالم تعلم
ولقد هديت من الضلالة أمة لولاك لم تنهض ولم تتقدم
وألنت جانبها وصعب شكيمها برواتع الآياب لا بالمخذم
وأخذت من ميسورها مايتقى بقليله غيظ الفقير المعدم
وعقدت في عنق القوي ضمانة تقي الضعيف عن الظلم والاستهم

كانت هجرته سببا في أنه قابل ناسا تمكن من نشر دعوته فيهم وتقوى بنصرتهم وكان على الدوام يحن إلى دياره التي احتلها الخصوم وأخرجوه منها

مفاوضة في الصلح بين الرسول وخصومه

ذهب الرسول في أربع مئة وألف من أصحابه إلى مكة في السنة السادسة من الهجرة كي يزورها ويعتمر فيها فيشرح صدره بها ويخفف من حنينه اليها . ولما قرب منها أرسل العيون والجواسيس لتستطلع له حال الخصوم وتبلغه ماتم فيه من الاستعداد ولما شاور الرسول أصحابه قالوا ماجئنا مقاتلين فان منعونا قاتلناهم وبايعوه على ألا يفرمنهم أحد فمنعهم الخصوم وحاصروهم، وبعد مناوشات ومضاربات وقعت بينهم رأى الرسول أن جيشه لايقوى على الجيش الذي أمامهم (١) وأن الصلح خير لهم فدارت المفاوضات بين الطرفين على إبطال الحرب عشر سنين، ويباح للرسول أن يأتي مكة في كل عام آمناً حراً

الخصم يملي الشروط ويضع القيود

وقد وضع الخصم شروطا وقيوداً وأملاها بنفسه في اتفاقية الصلح

اتفاقية الصلح وشروطها

قالوا لاتكتب بسم الله الرحمن الرحيم فانا لانعرف الرحمن من هو واكتب

(١) المنار : الحق ان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يجنح لذلك الصلح من ضعف بل لايثاره السلم على الحرب ، ورغبته في التمكن من تبليغ الدعوة بالحجة والبرهان

باسمك اللهم ، فكتب ، قالوا لا تكتب هذا ما اتفق عليه محمد رسول فانا لا نقر بانك رسول الله ولو أقررنا لما منعناك فاكتب محمد بن عبد الله فكتب ، قالوا من يأتي منا مسلما اليك ترده الينا وأما من يأتي منكم الينا فلا نرده فرضي وكتب ، قالوا لا تدخل مكة هذا العام ولا بد أن ترجع الى عام آخر لئلا يتحدث العرب بان قد ضغط علينا فكتب ، قالوا اذا دخلت بعد هذا العام فتدخل بسلاح الراكب وتكون السيوف في القرب . فقبل الرسول كل هذه الشروط بعد تحققه من تشبث الخصوم وتمسكهم بها ، وكان الصحابة ينتقدونها ويعترضون على كل شرط منها فيفهمهم الرسول بالقبول للحاجة

وقد اشتد اعتراضهم لما وصلوا الى أن من جاء اليهم مسلما يردونه ومن ذهب منهم لا يرد اليهم فقالوا كيف نرد من يأتي مسلما ونحن ندعو الى الاسلام وكيف لا يرد الينا من يذهب منا ؟ حتى المساواة في ذلك لا نحصل عليها ؟ فقال الرسول : من ذهب منا فقد أبعده الله ومن جاءنا ورددناه فالله يجعل له فرجا ومخرجا (يعني هذا تحكم القوي في الضعيف وللضرورة أحكام)

هكذا أملى المشركون شروط الاتفاقية حسب ارادتهم وقبلها الرسول كلها على ما فيها من الاجحاف ليكون حرا في دخول مكة كل عام فيتمكن من الاختلاط بالشعب ويبث فيه ما يشاء من المبادىء والتعاليم ويتمكن من أعداد القوة التي يحفظ بها الحق ولكن قبل هذا لا يمكن أحدا من المسلمين أن يجهر بعقيدته خوفا من المشركين وفتنتهم وعذابهم وشدتهم [1]

حكم القرآن في الاتفاقية

وقد أنزل الله في هذه الاتفاقية الآيات المبينة انها فتح ونصر ومغانم قال تعالى (انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما وينصرك الله نصرا عزيزا) وقال (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا ، ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما . وعدكم الله

---

(١) يعني انه لم يمكن لاحد من المسلمين قبل صلح الحديبية ان يظهر اسلامه أي فيما عدا المدينة وما يتبعها وناهيك باضطهاد المسلمين في مكة وما يتبعها

مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه) فتأمل قوله فعجل لكم هذه يعني سيكون لهم مغانم كثيرة من وراء هذه المغانم التي كسبوها بالاتفاقية وما الاتفاقية الا باب لتلك المغانم الكثيرة ووسيلة للوصول اليها . ولقد كان ما وعد الله تعالى وتحقق نظر الرسول وأصحابه في صلاحية الاتفاقية اذ تم لهم فتح مكة والاستيلاء على بلادهم من جميع جوانبها والتحكم فيها بكل حرية واستقلال بعد سنتين اثنتين من امضاء المعاهدة (لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا) وقد أفاض بعد ذلك على العالم من مبادئه العالية ما ترون في تاريخ الاسلام والحضارة الاسلامية . وبالاجمال كانت هجرة النبي صلى الله عليه وسلم جديرة بأن تكون مبدأ التاريخ الاسلامي وانها الحادثة اهتز العالم لها ونتج عنها الانقلاب الكبير في عالم المدنية وسنة الحرية والاستقلال

اقتداؤنا بالرسول

وانا نحمد الله اذ قد اقتدينا بالرسول واقتفينا أثره في الهجرة التي هاجرها وفدنا المصري فاستحق بها فخرا ، ونال من أجلها كرما وأجرا ، فالله تعالى يوفقه للاصلاح فيما يتفق عليه لتقدم المصريين وتحرير مصر

يا مصر ان قلوبنا ونفوسنا ... رهن لديك فلا تخافي واسلمي
مهما استطال عليك جد عاثر ... فالله جارك من عثار مؤلم
فثقي بأن الله بالغ أمره ... والله خير حافظا من مغرم

انتهت الخطابة

[المنار] ان هذه الخطبة قد روعيت فيها المناسبة بين معنى العام الهجري وبين حال مصر السياسية في هذا الوقت فكانت المناسبة قوية والمراعاة حسنة وأكثر الخطبة حقائق وأقلها معاني خطابية وشعرية قصد بها التأثير الذي يقتضيه الوقت كالتفاؤل بتوالي أهل الملل المختلفة وبعض ماذكر من فوائد الاحتفال بالاعياد ومثل هذا مما يتسامح به في أمثال هذه المواقف ، ولكن فيها من مبالغات شعرية لايتسامح في مثلها كالذي ذكره في حكمة ارسال الرسل ولا سيما تفسيره الظلمات

بالسلطات الاستبدادية والنور بالاستقلال على سبيل الحصر ، وأما الاستبداد أحد تلك الظلمات والاستقلال بعض لوازم ذلك النور ، وما كل الامم التي بعث فيها الرسل كانت خاضعة لسلطة استبدادية كقوم موسى عليه السلام . نعم ان الخطيب قد تلقى عنا في مدرسة الدعوة والارشاد ان التوحيد يعلي الانفس ويرفعها حتى لا تذل ولا ترضى بمهانة ولا تخضع لسلطة استبدادية ، ولكنه بالغ في تصوير ذلك بما ذكر في الخطبة وغفل عما قررناه في الدرس وفي المنار ولاسيما مقالات ذكرى المولد النبوي من اتصاف الامة العربية قبل البعثة المحمدية بالحرية الشخصية واستقلال الفكر وقوة الارادة .

وجملة القول أن هذه الخطبة كانت فريدة في بابها بمناسبتها لمقتضى الحال ولكن من بعض الوجوه ، فالمقارنة المقصودة بها غير تامة . ومما انكرناه من الخطبة خلوها من الصلاة على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عند ذكره فيها على كثرته ـ والموضوع جله ديني ـ وهذا من تأثير السياسة والاحوال الاجتماعية في الدين

مشيخة الجامع الازهر
و
محاربة البدع

أرسل الينا الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر رسالة بهذا العنوان مع كتاب خاص منه ذكر فيه انه سئل عما يسميه بعض أهل الطرق اسم الصدر فاجاب بكتابة هذه الرسالة أو الفتوى وأرسلها الينا لاجل نشرها «تعميما للفائدة وارشاداً للأمة» وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، أما بعد فانكم تسألون عما يفعله الآن بعض أهل الطرق من ابناء هذا العصر ، من اجتماعهم صباح مساء ، يرددون لفظ (أه ، أه) يعتقدونه اسما من اسماء الله ، ويقولون انهم بذلك يذكرون الله سبحانه ويسمون ذلك اسم الصدر

والجواب : أن هذا اللفظ المسئول عنه « أه » بفتح الهمزة وسكون الهاء ليس من الكلمات العربية في شيء ، بل هو لفظ مهمل لا معنى له مطلقاً ، وان كان بالمد فهو انما يدل في اللغة العربية على معنى التوجع وليس من أسماء الذوات فضلا عن أن يكون اسما من أسماء الله الحسنى التي أمرنا أن ندعوه بها كما قال تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه ، سيجزون ما كانوا

بالسلطات الاستبدادية والنور بالاستقلال على سبيل الحصر ، وأما الاستبداد أحد تلك الظلمات والاستقلال بعض لوازم ذلك النور ، وما كل الامم التي بعث فيها الرسل كانت خاضعة لسلطة استبدادية كقوم موسى عليه السلام . نعم ان الخطيب قد تلقى عنا في مدرسة الدعوة والارشاد ان التوحيد يعلي الانفس ويرفعها حتى لا تذل ولا ترضى بمهانة ولا تخضع لسلطة استبدادية ، ولكنه بالغ في تصوير ذلك بما ذكر في الخطبة وغفل عما قررناه في الدرس وفي المنار ولا سيما مقالات ذكرى المولد النبوي من اتصاف الامة العربية قبل البعثة المحمدية بالحرية الشخصية واستقلال الفكر وقوة الارادة .

وجملة القول أن هذه الخطبة كانت فريدة في بابها بمناسبتها لمقتضى الحال ولكن من بعض الوجوه ، فالمقارنة المقصودة بها غير تامة . ومما انكرناه من الخطبة خلوها من الصلاة على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عند ذكره فيها على كثرته - والموضوع جله ديني - وهذا من تأثير السياسة والاحوال الاجتماعية في الدين

مشيخة الجامع الازهر

و

محاربة البدع

أرسل الينا الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر رسالة بهذا العنوان مع كتاب خاص منه ذكر فيه انه سئل عما يسميه بعض أهل الطرق اسم الصدر فاجاب بكتابة هذه الرسالة أو الفتوى وأرسلها الينا لأجل نشرها «تعميما للفائدة وارشاداً للأمة» وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، أما بعد فانكم تسألون عما يفعله الآن بعض أهل الطرق من ابناء هذا العصر ، من اجتماعهم صباح مساء ، يرددون لفظ (أه ، أه) يعتقدونه اسما من اسماء الله ، ويقولون انهم بذلك يذكرون الله سبحانه ويسمون ذلك اسم الصدر

والجواب : أن هذا اللفظ المسئول عنه « أه » بفتح الهمزة وسكون الهاء ليس من الكلمات العربية في شيء ، بل هو لفظ مهمل لا معنى له مطلقاً ، وان كان بالمد فهو انما يدل في اللغة العربية على معنى التوجع وليس من أسماء الذوات فضلا عن أن يكون اسما من أسماء الله الحسنى التي أمرنا أن ندعوه بها كما قال تعالى (ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه ، سيجزون ما كانوا

يعملون) وقوله : (قل ادعوا الله أو ادعو الرحمن أيا ماتدعو فله الاسماء الحسنى)

وقد أجمع العلماء على أن أسماء الله تعالى وصفاته توقيفية(١) ولا يجوز لنا اطلاق اسم عليه تعالى أو صفة لم يكن ورد بها الشرع ، كما أنهم أجمعوا على أنه لا يجوز لنا التعبد بشيء لم يرد الشرع بجواز التعبد به،

ومعلوم انه صلى الله عليه وسلم لم يخرج من هذه الدار حتى أكمل الله لنا على يديه الدين ، وأتم لنا النعمة ، كما قال تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً) وفي الصحيحين عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال (من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد) وفي لفظ « من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد » وفي صحيح مسلم عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبته « ان أحسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها وكل بدعة ضلالة » (٢) ومن تأمل قوله تعالى (وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون) وتدبر هذا الوعيد الشديد اقشعر جسمه ان يذكر الله أو أن يدعوه بعد ذلك بغير أسمائه التي سمى بها نفسه واذن لنا في تسميته بها على يد رسوله صلى الله عليه وسلم . والالحاد في الاسماء هنا على ثلاثة معان — الخروج بها عما وضعت له من المعنى الشرعي، تحريفها عن لفظها الوارد شرعاً ، ادخال ما ليس منها فيها كموضوع السؤال وكما نقل المفسرون هنا من علماء اللغة ان الملحد العادل عن الحق والمدخل فيه ماليس منه

فثبت بذلك بطلان عمل هؤلاء العوام الذين انتشروا في المدن والقرى يجمعون النـاس ويعقدون المجالس على ذلك ويتخذون ذلك ورداً موقوتاً زاعمين أنهم

(١) المنار : اطلاق الحكم بالاجماع هنا سهو فجمهور الاشاعرة قالوا بالتوقيف وجمهور المعتزلة بعدمه ولذلك قال صاحب الجوهرة

واختير ان اسماه توقيفية كذا الصفات فاحفظ السمعية

(٢) لفظ مسلم أوله « أما بعد فان أحسن الحديث » الخ ورواه أحمد وأصحاب السنن باختلاف في الالفاظ ، وأخرجه البخاري من حديث عبد الله بن مسعود موقوفا بلفظ « ان أحسن الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وشر الامور محدثاتها ، وان ماتوعدون لآت وما أنتم بمعجزين » وذكر الحافظ في شرحه له من الفتح ان أصحاب السنن أخرجوه عنه مرفوعا وان مسلما أخرجه من حديث جابر مرفوعا مع زيادة وليس شيء من ذلك على شرط البخاري

يتقربون بذلك الى الله، وفي ذلك اضلال للعامة ونشر لسنة سيئة فيهم، لانه تعبد بما لم يتعبدنا الله به، وتسمية لله بغير أسمائه . نعوذ بالله من فعل ذلك أو الاعانة عليه أو السكوت عنه

ومهما قال زعماء تلك البدعة من قولهم انهم وجدوا مشايخهم كذلك فليس في ذلك برهان لهم في الدنيا ولا مخلص لهم عند الله يوم القيامة من عذابه . كيف وقد قال علماء الصوفية أنفسهم كل ما لم يستند الى الكتاب والسنة فهو باطل . وقالوا اذا لم يستند كشف الولي الى الكتاب والسنة فهو كشف شيطاني لان الولي غير معصوم . وورد مثل هذا القول أيضاً عن أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه ، وأجمعوا على أنه لا يجوز العمل بالكشف ولا الالهام والمشاهدة الا بعد عرضه على الكتاب والسنة . وما يقولونه أيضاً من الاستدلال على بدعتهم هذه بقوله تعالى «ان ابراهيم لاواه حليم» فليس من الاستدلال في شيء بل هو بقول الجاهلين أشبه لان الآية ليس معناها أنه كان يذكر الله بلفظ (آه) كما يفعلون بل معناها كما قال المفسرون أنه كان مشفقاً رحيماً . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل اهـ

٢٥ المحرم سنة ١٣٣٩ شيخ الجامع الازهر
محمد أبو الفضل

وقد نشرت هذه الفتوى في الجرائد اليومية فرد عليها بعض المنتسبين الى الطريقة الشاذلية برسالة نشرت في جريدة الاهرام هذا نصها

الرجوع الى الحق فضيلة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . أما بعد فأسأله تعالى أن يهدي الى حضرة النبي صلى الله عليه وسلم أزكى صلاة واتم سلام وان يعم بذلك سائر الانبياء والمرسلين وآل كل والتابعين

قال الله تعالى « ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون »

قال المفسرون . اسماء الله تعالى كلها حسنى لانها تدل على معاني الكمال الالهي سواء وردت في القرآن فقط كاسم الله تعالى القريب والمحيط والسريع والاحد وأحكم الحاكمين وخير الفاصلين وذي العرش وذي الطول وغير ذلك مما يورد في

الذكر الحكيم خاصة . أو جاءت به السنة أيضاً كقوله صلى الله عليه وسلم: ان لله تسعاً وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة . الله الرحمن الرحيم — الحديث، أو وردت به السنة وان لم يرد في القرآن كقوله صلى الله عليه وسلم (الديان لا يموت) وقوله صلى الله عليه وسلم (ان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا) وقوله صلى الله عليه وسلم في بعض ادعيته (يا حنان يا منان) وقوله صلى الله عليه وسلم (ان الله تعالى جميل يحب أن يرى أثر نعمته على عباده) وقد ورد هذا الاسم في خريدة التوحيد للدردير فهو الجليل والجميل والولي وغير ذلك مما تفردت به السنة خاصة وليس في القرآن صراحة. فليس المراد بالاسماء الحسنى خصوص التسع والتسعين والا لزم عليه معارضة الاحاديث بعضها لبعض كما لا يخفى وذلك لا يعقل.

اذا علمت ذلك علمت أننا مأمورون أن ندعو الله تعالى بكل اسم ثبت وروده عن الشارع صلى الله عليه وسلم مطلقاً

ومما تأكد ثبوته ذلك الاسم العظيم الذي اتخذه السادة الشاذلية من ضمن اذكارهم وهو اسم الله تعالى (أه) جل جلاله . ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه انه رأى مريضاً كان يئن في حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فنهاه بعضهم عن الانين وأمره بالصبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « دعوه يئن فانه يذكر اسما من اسمائه تعالى » ونقل العلامة الحفني في حاشيته على الجامع الصغير للجلال السيوطي عند الكلام على الاسم الاعظم قال ان اسم الله تعالى (أه) هو الاسم الاعظم الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى. وقال الامام الفخر الرازي في تفسيره في شرح البسملة : اختلف العلماء في الاسم الاعظم ويرجح عندي أن (أه) هو اسم الله الاعظم لاشتماله على سر الاشارة وتكوين الكائنات وظهور التجليات . وذكر العلامة العزيزي في شرحه على الجامع الصغير أيضاً ان اسم الله تعالى (أه) هو اسم يلهمه الله تعالى للعبد عند تجليات الجلال. وقال الشيخ الامير في حاشيته على متن (غرامي صحيح) أن (أه) من أسمائه تعالى وصحح ذلك . وروى الحاكم في مستدركه حديثاً يذكر فيه أن (أه) اسم عظيم من أسمائه تعالى يلهمه الله تعالى لمن أحب من عباده لانه سر من الاسرار التي لا يطلع عليها الا المقربون من المؤمنين . وقال الاستاذ الباجوري في حاشيته على جوهرة التوحيد عند قول الناظم « حتى الانين في المرض كما نقل » ينبغي للمريض أن يقول (أه) فانه اسم من أسمائه تعالى ولا يقول أخ فانه من أسماء

الشيطان - فقد ثبت بالدليل النقلي ان (أه) اسم عظيم من أسماء الله الحسنى التي امرنا سبحانه وتعالى أن ندعوه بها، فحينئذ لا الحاد ولا تحريف نعوذ بالله من ذلك واذاً ليس اسم (أه) مهملا لا معنى له مطلقاً (كما قيل) بل معناه منزه عن الاهمال جليل عند أهل الانصاف ولو تتبعنا الآثار والاخبار الواردة في الاستدلال على صحة هذا الاسم لما وسعتنا الصحف. وفي هذا القدر كفاية، لمن سطعت عليه أنوار الهداية، ونسأل الله تعالى العناية وحسن الختام، بجاه سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام. الفقير أحمد وافي — الشاذلي الازهري

نشر هذا الرد في عدد الاهرام الصادر في ٢٦ المحرم ولم ينشر من قبل مشيخة الازهر رد عليه، ولكن كتب الى الاهرام الرد الآتي فنشر في العدد الذي صدر في ٢ صفر وهذا نصه:

﴿ رد على رد ﴾

أصدرت هيئة مشيخة الازهر الاعلى بياناً أنكرت فيه على بعضهم بدعاً مستهجنة لم تؤيدها الاحاديث الصحيحة المتن القوية الحجة المتعارضة مع روح الدين الناصع المنتشرة في بلادهي كلمة العلم وحجة العارفين في اللغة والدين فانبرى أحدهم وسطر في صحيفتكم الغراء كلمة لا أرى مندوحة من الرد عليها احقاقاً للحق الذي لا ينكره الا المكابرون، وانا لا نطيل الشرح في هذا الباب وانما نورد الوجوه الآتية كي لا نضل الطريق السوي وحتى لا يتسلط بعضهم على السذج من الامة فيدخلون في الدين ماهو براء منه

أولا — ان ماأورده حضرة الكاتب من عزو حديث أبي هريرة الذي فيه قال الرسول الكريم لمارضي المريض على أنينه (دعوه يئن) هذا العزو الى صحيح مسلم كذب محض. والا فليأتنا حضرته بالنص الصريح في صحيح مسلم وهو منشر متداول بين الايدي كرر طبعه مراراً وتعددت طبعاته وكلها خلو من هذا الحديث فليتفضل حضرته بذكر الصحيفة التي تتضمن هذا الحديث.

ثانياً — ان الحديث المذكور مدون في الجامع الصغير وعزاه صاحب الجامع الى الرافعي فهو حديث لا تقوم عنده حجة لانه لم يخرج في الكتب الصحيحة ولم يصححه احد من المحدثين

ثالثاً — لو فرضنا أن هذا الحديث صحيح فلا يدل على بدعتكم هذه فان

الشيطان - فقد ثبت بالدليل النقلي ان (أه) اسم عظيم من أسماء الله الحسنى التي امرنا سبحانه وتعالى أن ندعوه بها ، فحينئذ لا الحاد ولا تحريف نعوذ بالله من ذلك واذاً ليس اسم (أه) مهملا لا معنى له مطلقاً (كما قيل) بل معناه منزه عن الاهمال جليل عند أهل الانصاف ولو تتبعنا الا ثار والاخبار الواردة في الاستدلال على صحة هذا الاسم لما وسعتنا الصحف . وفي هذا القدر كفاية ، لمن سطعت عليه أنوار الهداية ، ونسأل الله تعالى العناية وحسن الختام ، بجاه سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام . الفقير أحمد وافي — الشاذلي الازهري

نشر هذا الرد في عدد الاهرام الصادر في ٢٦ المحرم ولم ينشر من قبل مشيخة الازهر رد عليه ، ولكن كتب الى الاهرام الرد الآتي فنشر في العدد الذي صدر في ٢ صفر وهذا نصه :

﴿ رد على رد ﴾

أصدرت هيئة مشيخة الازهر الاعلى بياناً أنكرت فيه على بعضهم بدعاً مستهجنة لم تؤيدها الاحاديث الصحيحة المتن القوية الحجة المتعارضة مع روح الدين الناصع المنتشرة في بلادهي كمية العلم وحجة العارفين في اللغة والدين فانبرى أحدهم وسطر في صحيفتكم الغراء كلمة لا نرى مندوحة من الرد عليها احقاقاً للحق الذي لا ينكره الا المكابرون ، وانا لا نطيل الشرح في هذا الباب وانما نورد الوجوه الآتية كي لا نضل الطريق السوي وحتى لا يتسلط بعضهم على السذج من الامة فيدخلون في الدين ماهو براء منه

أولا — ان ما أورده حضرة الكاتب من عزو حديث أبي هريرة الذي فيه قال الرسول الكريم لمارضي المريض على أنينه (دعوه يئن) هذا العزو الى صحيح مسلم كذب محض . والا فليأتنا حضرته بالنص الصريح في صحيح مسلم وهو كتاب متداول بين الايدي كرر طبعه مراراً وتعددت طبعاته وكلها خالون هذا الحديث فليتفضل حضرته بذكر الصحيفة التي تتضمن هذا الحديث .

ثانياً — ان الحديث المذكور مدون في الجامع الصغير وعزاه صاحب الجامع الى الرافعي فهو حديث لا تقوم عنده حجة لانه لم يخرج في الكتب الصحيحة ولم يصححه احد من المحدثين

ثالثاً — لو فرضنا أن هذا الحديث صحيح فلا يدل على بدعتكم هذه فان

الرسول انما أشفق على المريض وتركه يئن فان صح أن لفظة (أه) اسم من أسماء الله تعالى فاسماء الله الحسنى معروفة ولا حاجة الى عدها في هذا المقام. وحسبنا أن يكون ماأوردتموه اشفاقا على المرضى . فلا يجب أن يكون سارياعلى الاصحاء واقناع السذج منهم بأن لفظ (أه) اسم من أسماء الله . والله بريء مما تنسبونه اليه جلت أسماؤه محمد فهمي بالاسكندرية

تعليق المنار على الفتوى والرد عليها

الفتوى ودعامة الاصلاح

ان فتوى الاستاذ الاكبر شيخ الجامع الازهر مشتملة على بيان اساس الدين وأصل الاصلاح الاعظم فيـه وان كانت في بيان بطلان بدعة خاصة قد ابتلي أهل الطرق بكثير من مثلها ومما هو أبعد عن هدي الدين منها كما شرحناه في مواضع من المنار ، وهذه الاصول تقضي على جميع البدع فقيمة الفتوى أكبر وأعظم من اثباتها لكون مايسمونه اسم الصدر والتعبد به بدعة ليست من الدين في شيء

ذلك الاساس الراسخ والاصل الثابت الذي هوجدير بتدبر المسلمين هوقول الشيخ ان العلماء قد أجمعوا على أنه لايجوز لنا التعبد بشيء لم يردالشرع بجوازالتعبد به . فهذا الاصل ثان للاصل الاول الذي جاء به جميع رسل الله (ص) وهوانه لايعبد الا الله وحده . وقد صرح شيخ الاسلام ابن تيمية بأن الدين كله قائم على هذين الاصلين (١) لا يعبد الا الله تعالى (٢) لا يعبدالله تعالى الا بما شرعه، ولا نزاع في ذلك وأنما نعيده ونكرره لزيادة الايضاح والتقرير . وقد بين الشيخ أدام الله النفع به دليل هذا الاجماع بقوله إن الرسول (ص) لم يخرج من هذه الدار حتى أكمل الله تعالى لنا على يديه الدين وأتم لنا النعمة ، وذكر نص آية المائدة التي أنزلت عليه صلوات الله وسلامه في يوم عرفة من حجة الوداع . ولعله انمـا قال « على يديه » ولم يقل على لسانه مع أن الدين تبليغ عن الله تعالى باللسان ليفيد أنه (ص) بين ما نزله الله عليه بالفعل والحكم والتنفيذ كما بلغه بالقول . وعبارته تدل على حصر هذا الاكمال به (ص) دون غيره من الصـحابة وعلماء التابعين ومن بعدهم فليس قول أحد منهم ولا فعله دينا ولا حجة في الدين عند أهل السنة

وقد بنى الشيخ أيد الله به السنة على هذا بطلان احتجاج أصحاب هذه البدعة بأقوال شيوخهم وأفعالهم فقال إنه ليس لهم في ذلك برهان في الدنيا ولا منجاة من عذاب الله تعالى في الآخرة . ولما كان سبب افتتان الكثير من الناس بدع المتصوفة الاغترار بما كان عليه بعض شيوخهم من العرفان والصلاح وما ينقل عن بعض أفرادهم من معرفة الحقائق بالكشف — كشف الشيخ هذه الشبهة بكلام منقول عن بعض علماء الصوفية المشهورين مبني على ذلك الاساس الاعظم للدين ، وهو قولهم : كل مالم يستند الى الكتاب والسنة من كشف وغيره فهو باطل ، وتسميتهم هذا الكشف شيطانياً . وقولهم انه لا يجوز العمل بالكشف ولا الالهام والمشاهدة الا بعد عرضه على الكتاب والسنة ، وتصريحهم بأن الولي غير معصوم أي لا في كشفه ولا في غيره . وانما نقل هذا القول عن علماء الصوفية لان غير العلماء لا يعتد بقولهم ولا نقلهم ، فمثل علماء الصوفية في ذلك غيرهم من المتكلمين والفقهاء ، فالدين قد أكمله الله تعالى وهو محصور في الكتاب العزيز والسنة النبوية الثابتة ، ولا يوجد اجماع صحيح ولا قياس صحيح الا وهو مستند اليهما ، وانما كلام العلماء الذي يعتد به هو بيان الاصلين وما استنبط منهما واستند اليهما من قياس واجماع على ما في القياس والاجماع من خلاف معروف في علم أصول الفقه

وقد استدل الشيخ ايد الله حجته على ما ذكر من اساس الدين بالسنة الصحيحة كما استدل بالكتاب العزيز واكتفى باشهر الاحاديث واصرحها في الموضوع — حديث « من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد » وهو متفق عليه ، وحديث « أما بعد فان أحسن الحديث كتاب الله » الخ وهو متفق عليه أيضا وان لم يخرجه البخاري الا موقوفا على عبدالله بن مسعود . ورواهما غير الشيخين كما تقدم

بعد بيان هذه الاصول الاساسية في الدين أشار الشيخ في سياق بيان بدعة ما يسمونه اسم الصدر الى قسمي البدعة اللذين أسهب الامام الشاطبي في الكلام عليهما بكتابه الاعتصام وهما البدعة الحقيقية كذكر الصدر الذي ليس له أصل في الكتاب ولا في السنة ولا كان موجودا في صدر الاسلام بل هو احداث وابتداع محض ، والبدعة الاضافية وهي ما كان له أصل ولكن الابتداع فيه بالعوارض والصفات

كالعدد والتوقيت والاجتماع والصفة كصلاة الرغائب في رجب وصلاة شعبان وقد قال فيهما الامام النووي في المنهاج : وصلاة رجب وشعبان بدعتان قبيحتان مذمومتان . ومن هذا القبيل جميع الاوراد والاذكار التي جعلوها من شعائر الدين بالتوقيت والاجتماع ورفع الصوت وغير ذلك . قال الشيخ نفع الله به :

« فثبت بذلك بطلان عمل هؤلاء العوام الذين انتشروا في المدن والقرى يجمعون الناس ويعقدون المجالس على ذلك ويتخذون ذلك وردا موقوتا زاعمين انهم يتقربون بذلك الى الله ، وفي ذلك اضلال للعامة ونشر لسنة سيئة فيهم لانه تعبد بما لم يتعبدنا الله به وتسمية لله بغير أسمائه، نعوذ بالله من فعل ذلك أو الاعانة عليه أو السكوت عنه » اه

وقد عبرنا عن البدعة بالسنة السيئة باعتبار أنها تتبع وتجعل كالمشروع ويقتدي بعض الناس فيها ببعض ، وللاشارة الى حديث جرير بن عبد الله البجلي في صحيح مسلم مرفوعاً « من سن في الاسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء » (١) وأخرجه الترمذي عنه بلفظ « من سن سنة خير . . ومن سن سنة شر . . » فالمراد بالسنة هنا معناها اللغوي وهو الطريقة المسلوكة . اذ كان سبب الحديث ان قوماً من مضر جاؤا النبي (ص) حفاة عراة فتمعر وجهه الشريف لما رأى بهم من الفاقة فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى بالناس ثم خطب فحث على التصدق من النقد والثياب والطعام ، فتلبث الناس حتى كان رجل من الانصار بدأ بأن جاء بصرة كادت كفه تعجز عنها لكبرها بل عجزت ، ثم تتابع الناس فكان ماجاءوا به كومين من طعام وثياب ، حتى تهلل وجه النبي (ص) وقال « من سن في الاسلام » الخ فالمراد بالسنة هنا العمل الذي يكون به صاحبه قدوة فيه سواء كان اتباعا كفعل ذلك الانصاري وهو السنة الحسنة أو ابتداعا وهو السنة السيئة . وليس من السنة الحسنة ان يسن في الدين عبادة جديدة ولو في الهيأة والصورة . نعم قد يدخل في السنة الحسنة كل

(١) وفي رواية شيئاً في الموضعين ونقص يستعمل لازماً ومتعدياً

اختراع دنيوي ينفع الناس في دينهم أو دنياهم ويشترط في الثاني أن لا يكون محظورا شرعا في نفسه ولا فيما يترتب عليه ويلازمه . وقد تضمن كلام الشيخ انكار جميع البدع و بيان حظرها وحظر الاعانة عليها والسكوت عنها . كل ذلك محرم شرعا ، والحث على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهما من عزائم الدين بل هما سياجه وحفاظه .

ونحمد الله انا قد جرينا على هذه الاصول والقواعد في المنار وما زال كثير من المعممين الجاهلين أو الحاسدين ينكر علينا بناء الاصلاح الديني على اتباع الكتاب والسنة وانكار البدع كلها حقيقية كانت أو اضافية

ونرجو من الشيخ وهو رئيس لمعاهد الدينية في هذا القطر كله ان يجعل العمل بهذا الفتوى مبدأ إصلاح جديد في الازهر وسائر المعاهد الدينية قبل غيرها ، فان البدع ومخالفة السنن كثيرة فيها حتى في عماد الدين — الصلاة — فقد صليت الجمعة من عهد قريب في الجامع الازهر فوجدت قشر البصل وأوراقه الخضر وقشر البيض منثورة في مواضع من المسجد ، ووجدت المجاور بن وغيرهم متحلقين في صحنه يتكلمون وقت الخطبة . ووجدت الصفوف غير تامة ويبعد بعضها عن بعض بعدا واسعا ، وغير ذلك من المنكرات . كما نرجو منه أن يبطل من عقاب مخالفي قانون المعاهد الحرمان من دروس العلم ، فانه يتضمن المنع من طاعة الله تعالى وعبادته بتلقي علوم الدين وسائلها ومقاصدها والله الموفق .

الرد على المعترض على الفتوى

انبرى أحد مشايخ الطريقة الشاذلية للرد على الفتوى واثبات ما يسمونه اسم الصدر وكون التعبد به مشروعا فاستدل على الاسم بحديث عزاه الى صحيح مسلم وحديث عزاه الى الحاكم و بكلام بعض المصنفين

أما الحديث الاول فنص عبارته فيه : ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه رأى مريضا كان يئن في حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فنهاه بعضهم عن الانين فقال رسول الله (ص) « دعوه يئن فانه يذكر اسما من أسمائه تعالى » وقد كذبه من رد عليه من الاسكندرية بهز وهذا الحديث الى صحيح مسلم وطالبه ببيان مكانه منه وذكر ان السيوطي عزاه في الجامع الصغير الى الرافعي وانه

لم يصححه أحد من المحدثين وانه على فرض صحته لا يدل على مطلوبه ، وهو مصيب في هذه الاقوال كلها ولكنها غير كافية في الرد عليه فنزيد عليه ما يأتي من الدلائل والفوائد

(١) ان المعترض زعم ان هذا الحديث من مسند أبي هريرة المخرجة في صحيح مسلم وليس في صحيح مسلم ولا في غيره من كتب الحديث . والحديث الذي عزاه السيوطي في جامعه الى الرافعي من مسند عائشة وبين السيوطي سببه في الجامع الكبير كما ذكر في الاكمال من كنز العمال وهو ان عائشة قالت دخل علينا رسول الله (ص) وعندنا عليل يئن فقلنا له اسكت فقال « دعوه يئن فان الانين اسم من أسماء الله تعالى يستريح اليه العليل » والمعترض ذكر لحديث أبي هريرة سببا مثل هذا وهو ناقل له عن بعض كتب الطريقة وليس هو المخترع له . ومن المعروف عند العلماء ان الحديث كغيره من العلوم له أئمة يؤخذ عنهم فلا يعتد الا بما رووه ولا يحتج بشيء مما رووه الا اذا صححوا سنده أو حسنوه . وان كتب المتصوفة وكتب التاريخ والادب يكثر فيها الاحاديث الموضوعة والواهية التي لا يجوز العمل بها لا في فضائل الاعمال ولا في غيرها ، بل يوجد أمثال هذه الاحاديث في كتب التفسير والكلام (العقائد وفلسفتها) لان أكثر مصنفيها من غير المحدثين . وهذا كتاب احياء العلوم من أشهر الكتب ومؤلفه من أكبر أئمة المتكلمين والفقهاء والصوفية وهو يشتمل على كثير من الاحاديث الموضوعة والواهية التي لا يجيز أحد من الائمة العمل بها في الفضائل فضلا عن الاحتجاج بها في اثبات اسماء الله تعالى وصفاته وشرعية عبادة لا دليل لها سواها

(٢) قال الشيخ محمد الحوت الكبير في كتابه الذي بين فيه ما في الجامع الصغير من الاحاديث الضعيفة أي والموضوعة عند ذكر حديث « دعوه يئن » : لكن هذا لم يرد في حديث صحيح ولا حسن واسماؤه تعالى توقيفية أه

(٣) مما يدل على أن هذا الحديث مصنوع ليس له أصل عدم ذكر أحد له من المحدثين ولا فقهاء الحديث في الكتب التي لا يهملون فيها مثله ككتب لغة الحديث وشروحه وفقه الحديث فهذا الحافظ ابن الاثير لم يذكر كلمة الانين في كتابه النهاية الذي وضعه لتفسير مفردات الاحاديث ، ولم يذكرها صاحب مجمع البحار في كتابه ولا في تكملته على عنايته باستقصاء ما تركه صاحب النهاية .

ولم يذكره حفاظ الحديث والفقهاء في بحث حكم الانين شرعا هل هو مكروه أم لا وقد اعتمد أعلم الفقهاء بالاحاديث كراهته ونظر بعضهم فيها ولوثبت هذا الحديث عندهم لقالوا انه مستحب او مسنون

٤) قال الحافظ ابن حجر في شرحه حديث تفجع عائشة من وجع رأسها وقول النبي (ص) لها « ذاك لو كان وانا حي فاستغفر لك وادعو لك » ـ وهو في كتاب المرضى من صحيح البخاري ـ مانصه :

قال القرطبي اختلف الناس في هذا الباب (لمنار : يعني باب الشكوى في المرض ونحوه هل يقدح في الرضا من الله والتسليم أم لا) والتحقيق ان الالم لا يقدر أحد على رفعه والنفوس مجبولة على وجدان ذلك فلا يستطاع تغييرها عما جبلت عليه وانما كلف العبد أن لا يقع منه في حال المصيبة ماله سبيل الى تركه كالمبالغة في التأوه والجزع الزائد كأن من فعل ذلك خرج عن معاني أهل الصبر . واما مجرد التشكي فليس مذموما حتى يحصل التسخط للمقدور . وقد اتفقوا على كراهة شكوى العبد ربه وشكواه انما هو ذكره للناس على سبيل التضجر والله أعلم

(قال) روى أحمد في الزهد عن طاوس انه قال : أنين المريض شكوى . وجزم ابو الطيب وابن الصباغ وجماعة من الشافعية أن انين المريض وتأوهه مكروه . وتعقبه النووي فقال هذا ضعيف أو باطل فان المكروه ماثبت فيه نهي مقصود وهذا لم يثبت فيه ذلك ثم احتج بحديث عائشة في الباب ثم قال فلعلهم ارادوا بالكراهة خلاف الاولى . فانه لاشك ان اشتغاله بالذكر أولى انتهى ولعلهم أخذوه بالمعنى من كون كثرة الشكوى تدل على ضعف اليقين وتشعر بالتسخط للقضاء وتورث شماتة الاعداء . واما اخبار المريض صديقه أوطبيبه عن حاله فلا بأس به اتفاقا . اه ماأورده الحافظ في شرح حديث عائشة من البخاري ولو كان لها حديث في شرعية الانين اذكره النووي أوالحافظ الذي قال فيه بعض العلماء : ان كل حديث قال الحافظ ابن حجر : لاأعرفه — فليس بحديث . لجودة حفظه لكتب السنة وحسن استحضاره لها ولا سيما في شرحه للبخاري الذي كان يتلقاه عنه الحفاظ والفقهاء في الجامع الازهر تلقي بحث واستدلال

وكذلك فقهاء الحنابلة تجزموا بكراهة الانين في المرض في كتبهم . قال الفقيه ابن مفلح

في كتابه الفروع :(فصل) يكره الانين في المرض الخ ثم قال في فصل بعده :وكانوا يكرهون أنين المريض لانه يترجم عن الشكوى . ثم ذكر عن عبدالله بن الامام أحمد انه نقل في أنين المريض : أرجو أن لا يكون شكوى ولكنه اشتكاء الى الله . اه وذكر ذلك السفاريني في أواخر الجزء الاول من شرح منظومة الآداب ثم قال

« قلت — أنين المريض تارة يكون عن تبرم وتضجر فيكره وتارة يكون عن تسخط بالمقدور فيحرم فيما يظهر ، وتارة يكون لاجل ما يجد ويجد به نوع استراحة بقطع النظر عن التضجر والتبرم فيباح ، وتارة يكون عن ذل بين يدي رب العالمين وانكسار ، وخضوع وافتقار ، ومسكنة واحتقار ، مع حسم مادة العون الا من بابه ، والشفاء الا من عنده ، والعافية الا من كرمه ، فهذا لا يكره فيما يظهر بل يندب اليه واليه الاشارة في حديث وان لم يثبت « المريض أنينه تسبيح وصياحه تكبير ، ونفسه صدقة ، ونومه عبادة ، ونقله من جنب الى جنب جهاد في سبيل الله » قال الحافظ ابن حجر ليس بثابت والله أعلم اه

فأنت ترى ان حديث عائشة الذي عزاه السيوطي الى الرافعي أمثل ما يستدل به على الحكم الصحيح في هذه المسألة لانه نص فيها فلو كان له أصل لذكروه ولو مع التصريح بعدم ثبوته كما قال الحافظ في حديث المريض المذكور آنفا

(٥) وأما الحديث الثاني فقد أورده المعترض بقوله :وروى الحاكم في مستدركه حديثا يذكر فيه أن (أه) من أسمائه تعالى يلهمه الله تعالى لمن أحب من عباده لانه سر من الاسرار التي لا يطلع عليها الا المقربون من المؤمنين

ونقول في هذا الحديث كما قلنا فيما قبله : الظاهر أنه نقله عن بعض كتب أهل الطريق الذين لا يعتد بنقلهم ، وهو لم يذكر لفظه ولا اسم الراوي له من الصحابة . ونحن لم نر كلمة «أه» في النهاية ولا مجمع البحار ولا تكملته ولا في غيرهما من معاجم اللغة العامة الشاملة لما في الكتاب والسنة ولغيره من كلام العرب . ونزيد على ذلك ان هذه العبارة من الكلام المألوف عند الصوفية وليست من أساليب كلام الرسول (ص) ولا كلام العرب في عصره ، وكيف يصح أن يكون سرا يعرف بالالهام ويختص بالمقربين مع التصريح به ، على انه لم غير معروف الا عند غوغاء المنتسبين

الى الطريق فلم يرد عن أحد من أكابر الصحابة والتابعين ، ولا الائمة المجتهدين ، ولا غيرهم من أكابر الفقهاء أو المتكلمين ، وأئمة الصوفية العارفين.

الاقوال في اسم الله الاعظم

(٦) ولما كانت الاقوال التي عزاها إلى العلماء في اثبات اسم الصدر واردة في بيان كونه هو اسم الله الاعظم ننقل ما أحصاه الحافظ ابن حجر من الاقوال في الاسم الاعظم عمن يقول به فان بعض العلماء انكره كما قال الحافظ. وهذا نص ماقاله في فتح الباري بعد أن أطال الكلام في اسماء الله الحسنى :

(تكميل) واذ قد جرى ذكر الاسم الاعظم في هذه المباحث فليقع الالمام بشيء من الكلام عليه ، وقد انكره قوم كابي جعفر الطبري وأبي الحسن الاشعري وجماعة بعدهما كابي حاتم ابن حبان والقاضي أبي بكر الباقلاني فقالوا لايجوز تفضيل بعض الاسماء على بعض ، ونسب ذلك بعضهم لمالك لكراهيته أن تعاد سورة أو تردد دون غيرها من السور لئلا يظن أن بعض القرآن أفضل من بعض فيؤذن ذلك باعتقاد نقصان المفضول عن الافضل ، وحملوا ماورد من ذلك على أن المراد بالاعظم العظيم وان أسماء الله كلها عظيمة . وعبارة ابي جعفر الطبري : اختلفت الآثار في تعيين الاسم الاعظم والذي عندي ان الاقوال كلها صحيحة اذ لم يرد في خبر منها انه الاسم الاعظم ولا شيء أعظم منه ، فكأنه يقول كل اسم من اسمائه تعالى يجوز وصفه بكونه أعظم فيرجع الى معنى عظيم كما تقدم . وقال ابن حبان الاعظمية الواردة في الاخبار انما يراد بها مزيد ثواب الداعي بذلك كما أطلق ذلك في القرآن والمراد به مزيد ثواب القارئ

وقيل المراد بالاسم الاعظم كل اسم من أسماء الله تعالى دعا العبد به ربه مستغرقا بحيث لا يكون في فكره حالتئذ غير الله تعالى، فان من تأتى له ذلك استجيب له . ونقل معنى هذا عن جعفر الصادق وعن الجنيد وعن غيرهما . وقال آخرون استأثر الله تعالى بعلم الاسم الاعظم ولم يطلع عليه أحدا من خلقه . وأثبته آخرون معينا واضطربوا في ذلك وجملة ما وقفت عليه من ذلك أربع عشر قولا

الاول — الاسم الاعظم « هو » نقله الفخر الرازي عن بعض أهل الكشف واحتج له بأن من أراد أن يعبر عن كلام معظم بحضرته لم يقل له : أنت قلت كذا.

وانما يقول : هو يقول . تأدبا معه

الثاني — « الله » لانه اسم لم يطلق على غيره ولانه الاصل في الاسماء الحسنى ومن ثم أضيفت اليه

الثالث — « الله الرحمن الرحيم » ولعل مستنده ما أخرجه ابن ماجه عن عائشة انها سألت النبي صلى الله عليه وسلم ان يعلمها الاسم الاعظم فلم يفعل فصلت ودعت : اللهم اني أدعوك الله وأدعوك الرحمن الرحيم وأدعوك بأسمائك الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم » الحديث وفيه انه (ص) قال لها « انه لفي الاسماء التي دعوت بها » (قلت) وسنده ضعيف وفي الاستدلال نظر لا يخفى

الرابع — « الرحمن الرحيم الحي القيوم » لما أخرج الترمذي من حديث أسماء بنت يزيد ان النبي (ص) قال « اسم الله الاعظم في هاتين الآيتين (والهكم إله واحد لااله الا هو الرحمن الرحيم) وفاتحة سورة آل عمران (الله لااله الا هو الحي القيوم) أخرجه أصحاب السنن الا النسائي وحسنه الترمذي وفي نسخة صححه وفيه نظر لانه من رواية شهر بن حوشب

الخامس — (الحي القيوم) أخرج ابن ماجه من حديث أبي أمامة « الاسم الاعظم في ثلاث سور البقرة وآل عمران وطه » قال القاسم الراوي عن أبي أمامة ، التمسته منها فعرفت انه « الحي القيوم » وقواه الفخر الرازي واحتج بأنهما يدلان من صفات العظمة بالربوبية مالا يدل على ذلك غيرهما كدلالتها

السادس — « الحنان المنان بديع السموات والارض ذو الجلال والاكرام الحي القيوم » ورد ذلك مجموعا في حديث أنس عند أحمد والحاكم وأصله عند أبي داود والنسائي وصححه ابن حبان

السابع — « بديع السموات والارض ذو الجلال والاكرام » أخرجه أبو يعلى من طريق السري بن يحيى عن رجل من طي وأثنى عليه قال كنت أسأل الله تعالى أن يريني الاسم الاعظم فأريته مكتوبا في الكواكب في السماء

الثامن — « ذو الجلال والاكرام » أخرج الترمذي من حديث معاذ بن جبل قال سمع النبي (ص) رجلا يقول : ياذا الجلال والاكرام - فقال « قد استجيب

لك فسل » واحتج له الفخر بأنه يشمل جميع الصفات المعتبرة في الآلهية لان في الجلال اشارة الى جميع السلوب وفي الاكرام اشارة الى جميع الاضافات

التاسع — (الله لا اله الا هو الاحد الصمد . الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد) أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم من حديث بريدة وهو أرجح من حيث السند من جميع ما ورد في ذلك

العاشر — (ربّ ربّ) أخرجه الحاكم من حديث أبي الدرداء وابن عباس بلفظ (اسم الله الاكبر : رب رب) وأخرج ابن أبي الدنيا عن عائشة : اذا قال العبد يارب يارب قال الله لبيك عبدي سل تعط . رواه مرفوعا وموقوفا

الحادي عشر — دعوة ذي النون . أخرج النسائي والحاكم عن فضالة بن عبيد رفعه « دعوة ذي النون في بطن الحوت (لااله الا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين) لم يدع بها رجل مسلم قط الا استجاب الله له

الثاني عشر — نقل الفخر الرازي عن زين العابدين انه سأل الله ان يعلمه الاسم الاعظم فرأى في النوم « هو الله الله الذي لا اله الا هو رب العرش العظيم »

الثالث عشر — هو مخفي في الاسماء الحسنى ويؤيده حديث عائشة المتقدم لما دعت ببعض الاسماء وبالاسماء الحسنى فقال لها (ص) « انه لفي الاسماء التي دعوت بها »

الرابع عشر — كلمة التوحيد نقله عياض كما تقدم قبل هذا . اه ما أورده الحافظ من احصاء الاقوال التي وقف عليها ومنها عبية أقوال نقلها عن الرازي ليس فيها ذكر اسم (آه) للمدعى ، وسننقل ماقاله في تفسيره ، ومنها أدلة رواها الحاكم وكان الحافظ ابن حجر يحفظ مستدرك الحاكم وغيره من كتب السنة ولم يذكر عنه في الروايات التي رواها في الاسم الاعظم ولا في الاسماء الحسنى ان منها (اه) وبلغنا انها كلمة سريانية

وسننشر في الجزء التالي بقية الرد على المعترض على فتوى شيخ الازهر مبدوءا بكلام الفخر الرازي في اسم الله الاعظم ، ان شاء الله تعالى

تاريخ فنون الحديث (*)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل من السنة تبيانا للكتاب. ونورا يهتدي به أولو الالباب، وبعث اليها من الحفاظ المتقنين، والرواة الصادقين، والنقدة البصيرين، من قام بصادق خدمتها، وحفظ عليها جلال حرمتها، ونفي عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، (١) وصانها من أفك المفترين، ودغل الدجالين، فحفظت على مر العصور، من يد الدثور، وصينت — بعناية الله — من أرباب الفجور. فلله مزيد الحمد والمنة على ماحفظ من معالم دينه وسبل رشاده، وعلى صفيه وخليله محمد بن عبد الله صلواته وسلامه، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين

«وبعد» فان من لاعلم له بالكتاب والسنة لاحظ له من الملة الحنيفية، والشرعة المحمدية، وليس له من نور الهداية ومصباح النبوة مايهتدي به في دياجير الشبهات، وظلمات الترهات، وان صدره لنفل من برد اليقين، وعقله بمعزل من اصابة الحق المبين، وقلبه خلو من واعظ الايمان، وخشية الديان. فالخير كل الخير في اتباع الكتاب والسنة واقتفاء هديهما، والاغتراف من بحرهما الواسع، وجودهما السائغ، ولا شيء أهدى للنفوس وأجلب لسعادتها، وارجى لطهارتها، من تفهم هذين الصنوين والعكوف على درسهما، وتدبر معانيهما، والنفوذ الى مغزاهما. فهناك طهارة القلب، وصفاء العقل، وكمال النفس

فكان خليقاً بالعلماء ورواد الدين أن يجعلوا مقصدهم الاسمى وغايتهم القصوى معرفة هذين الاصلين، والاستظلال بظل هاتين الدوحتين، والاحتماء بحماهما وابتغاء الهداية من سبيلها. ولكن — وا أسفاه — صرفوا عنهما العناية وولوا وجوههم نحو الفروع وما اليها، وتحكموا بها في كتاب الله وسنة رسوله (ص) فآثروا الفروع

(*) رسالة صنفها الشيخ عبد العزيز الخولي الطالب في السنة النهائية لمدرسة القضاء الشرعي

١) روى البيهقي في المدخل من حديث ابراهيم بن عبد الرحمن العذري مرسلا قال قال رسول الله «ص» يحمل هذا العلم من كل خلف عدو له ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين

على الاصول، وقدموا آراء الرجال على قول الله وقول الرسول. وماذلك الا اغماض لمقام الكتاب والسنة، وتغال في وضع الآراء مواضع النصوص، وانه لخطأ - لو يعلمون - عظيم تنكره أصولهم، وتأباه عليهم - لو أنصفوا - عقولهم

ومن عجيب أمرهم أن يعدوا من كبار المفسرين من درس مثل تفسير الجلالين أو النسفي دون أن تكون له ملكة فهم في القرآن وذوق يدرك به سر فصاحته وكمال اقتدار على تطبيقه على سير الناس ومعاملاتهم. وأعجب من ذلك أن يعدوا بخاري زمانه ومسلم أوانه من مر على صحيح البخاري مر السحاب دون أن يطلق لنفسه العنان في تفهم الاحاديث واستنباط الاحكام ومقارنة ذلك بافهام المتقدمين وما استنبطوه منها. واين صحيح البخاري من كتب الصحاح والمسانيد والاجزاء التي يكاد يخطئها العد ولا يضبطها الحساب؟ وان من المضحكات المبكيات أن تسأل كثيراً من العلماء عن اسماء الكتب الستة فلا يحير جوابا كأن ذلك ليس لديه من الدين في ورد ولا صدر ولا قبيل أو دبير، فلا حول ولا قوة الى بالله

تنكرت معالم الدين، وطبق الجهل على المنتسبين اليه، وسادت الفروع وعبدت لها الاصول، وأنكر على المؤثرها، المقتفي هديها، فزال جلال الدين من النفوس وكاد يرحل من دور القضاء، ويهاجر من أرض المعاملات

فكل ذلك دعاني لان أجعل رسالتي التي أقدمها لمدرسة القضاء في السنة الختامية، في تاريخ فنون الحديث — والكشف عما طرأ عليها من جمع وتصنيف وترتيب وتهذيب وشرح وتبيين حتى تتمثل لك — أيها القارىء الكريم — صورة واضحة ترى فيها كتب السنة ماثلة، وتلمح في ثناياها تلك الخدمات الجليلة التي أداها للسنة سلفنا الصالح، وتبصر في أساريرها رفيع مقام السنة وناصع بياضها وجليل أمرها. واني وان لم أسبق الى هذا النوع من الكتابة — حسب ما أعلم — ولم يمهد أحد قبلي صعابه فان أملي في الله عظيم ورجائي في واسع فضله كبير ان يسدد لي خطاي، ويوفقني لمسعاي، ويمدني بروح من عنده يهديني بها قصد السبيل، انه نعم المولى ونعم النصير

معنى تاريخ السنة

السنة في اللغة الطريقة المسلوكة من سننت الشيء بالمسن اذا أمررته عليه

حتى يؤثر فيه سنا أي طريقاً . وهي اذا أطلقت تنصرف الى الطريقة المحمودة وقد تستعمل في غيرها مقيدة كقول النبي (ص) «من سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة» رواه مسلم وتطلق في عرف الشرعيين على قول النبي (ص) وأفعاله وتقريراته — عدم انكاره لامر رآه أو بلغه عمن يكون منقاداً للشرع فهي مرادفة للحديث . وأعني بتاريخها الادوار التي تقلبت فيها من لدن صدورها عن صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم الى أن وصلت الينا من حفظ في الصدور ، وتدوين لها في الصحف ، وجمع لمنثورها وتهذيب لكتبها وتمييز لما اندس فيها ، واستنباط من عيونها ، وتأليف بين كتبها ، وشرح لغامضها ونقد لرواتها — الى غير ذلك مما يعرفه القائمون على خدمتها والعاملون على نشر رايتها

ادوار تاريخ السنة

حفظها في الصدور . تدوينها مختلطة بالفتاوى . افرادها بالتدوين . تجريد الصحيح . تهذيبها بالترتيب والجمع والشرح . فنون الحديث المهمة وتاريخ كل علم وأحسن المصنفات فيه .

وسنعقب ذلك بخاتمة فيها مسائل قيمة

مكانة السنة من الكتاب

قبل أن نشرع في موضوعنا نقدم لك بين يديه فصلا نبين فيه مكان السنة من الكتاب ومنزلتها منه حتى تنجلي لك مكانة الموضوع الذي نحن بصدده فنقول وبالله توفيقنا وعليه اعتمادنا

ان للسنة عملين (١) تبيين الكتاب (٢) والاستقلال بتشريع الاحكام . أما الاول فلقوله تعالى (وأنزلنا اليك الذكر «القرآن» لتبين للناس ما نزل اليهم) فلا سبيل الى العمل بجل الشرائع التي تضمنها الكتاب الا ببيان من المعصوم يفصل مجملها ويوضح مشكلها ويعين محتملها ويقيد مطلقها ، وكيف ترى مصليا اذا وقفت الى ما نطق به الكتاب فحسب ولم تعرج على السنة فتتعرف أوقاتها وعدد ركعاتها وسجداتها ومايقيمها أو يبطلها الى سائر أحكامها وكثير أنواعها

وما الذي تخرجه من مالك زكاة اذا لم تسترشد بكتاب الصدقات من السنة؟ ثم كيف تؤدي مناسك الحج اذا لم تأتس بالرسول في قاله وحاله يوم أن حج بالناس حجة الوداع . فلا جرم كان القرآن في حاجة الى السنة ورحم الله الاوزاعي اذ يقول : الكتاب أحوج الى السنة من السنة الى الكتاب ولا عجب في ذلك فان المجمل في حاجة الى البيان ولا كذلك المفصل

وأما الثاني فلقوله تعالى :(وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله ان الله شديد العقاب) : وقوله جل شأنه : (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) الى غير ما آية . وكيف ننكر استقلال السنة بتشريع الاحكام وقد أخرج أبو داود والترمذي عن المقدام بن معديكرب قال قال رسول الله (ص) «يوشك رجل منكم متكئاً على أريكته يحدث بحديث عني فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه ألا وان ما حرم رسول الله مثل الذي حرم الله — زاد أبو داود — ألا اني أوتيت الكتاب ومثله معه » وقد حرمت السنة نكاح المرأة على عمتها أو خالتها وحرمت الحمر الاهلية وكل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير وأوجبت رجم المحصن - الى كثير مما ملئت به مدونات فقه الحديث والكتب الجامعة لأحاديث الاحكام كبلوغ المرام لابن حجر والمنتقى للمجد ابن تيمية وشرحه نيل الاوطار للشوكاني

ولا تنس ما في السنة من آداب وأخلاق وقصص ومواعظ ورقائق وعقائد وان كانت لاتعدو شرح الكتاب

وجملة القول ان الكتاب والسنة ينبوع هذا الدين المتين ، ومعتصم المسلمين وناموس المشرعين

الدور الاول حفظ السنة في الصدور

لم تكن السنة في القرن الاول — عصر الصحابة وأكابر التابعين — مدونة في بطون الكتب وانما كانت مسطورة على صفحات القلوب فكانت صدور الرجال مهد التشريع النبوي ومصدر الفتيا ومنبعث الحكم والاخلاق

ولم يقيدوا السنة بكتاب لما ورد من النهي عن كتابتها : روى مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه انه قال قال رسول الله (ص)

«لاتكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه وحدثوا عني فلا حرج ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» قال كثير من العلماء نهاهم عن كتابة الحديث خشية اختلاطه بالقرآن. وهذا لا ينافي جواز كتابته اذا أمن اللبس. وبذلك يحصل الجمع بين هذا وبين قوله (ص) في مرضه الذي توفي فيه «ائتوني بكتاب اكتب لكم كتاباً لاتضلوا بعده» وقوله عام الفتح «اكتبوا لابي شاه» واذنه لعبد الله بن عمرو بتقييد العلم. ولما توفي النبي (ص) بادر الصحابة الى جمع ما كتب في عهده في موضع واحد وسموا ذلك «المصحف» واقتصروا عليه ولم يتجاوزوه الى كتابة الحديث وجمعه في موضع واحد كما فعلوا بالقرآن لكن صرفوا هممهم الى نشره بطريق الرواية اما بنفس الالفاظ التي سمعوها منه «ص» ان بقيت في أذهانهم أو بما يؤدي معناها ان غابت عنهم فان المقصود بالحديث هو المعنى ولا يتعلق في الغالب حكم بالمبنى بخلاف القرآن فان للالفاظ مدخلا في الاعجاز فلا يجوز ابدال لفظ منه بآخر ولو كان مرادفاً له خشية النسيان مع طول الزمان فوجب أن يقيد بالكتابة . وأما السنة فتقييدها مباح ما أمن الاختلاط

فانت تراهم سلكوا مسلك الجمع بين هذه الاحاديث المتضاربة لكن نظرت لابن القيم في كتابه (زاد المعاد) اثناء الكلام على قصة الفتح ما يأتي: وفي القصة ان رجلا من الصحابة يقال له أبو شاه قام فقال اكتبوا لي فقال النبي(ص)«اكتبوا لابي شاه» يريد خطبته . ففيه دليل على كتابة العلم ونسخ النهي عن كتابة الحديث فان النبي (ص) قال من «كتب عني شيئاً غير القرآن فليمحه» وهذا كان في أول الاسلام خشية أن يختلط الوحي الذي يتلى بالوحي الذي لا يتلى ثم أذن بالكتابة لحديثه . وصح عن عبد الله بن عمرو انه كان يكتب حديثه وكان مما كتبه صحيفة تسمى الصادقة وهي التي رواها حفيده عمرو بن شعيب عن أبيه عنه وهي من أصح الاحاديث وكان بعض أئمة أهل الحديث يجعلها في درجة أيوب عن نافع عن ابن عمر والأئمة الاربعة وغيرهم احتجوا بها

والى القول بالنسخ أميل . ذلك ان القرآن وان كان بدعاً في أسلوبه فريداً في نظمه يمتاز على غيره بالاعجاز . لكن المسلمين في أول الاسلام كانوا حديثي عهد بنزوله وكان النازل منه يسيراً فلم تكن ميزته المثلى قد توطنت النفوس جد التوطن ، ولا تمكنت فيها فضل التمكن . فكان من الممكن أن يشتبه على من دون فرسان البلاغة الوحي المتلو بغير المتلو فوجب التمييز بالكتابة. فلما مرنوا

على أسلوبه وطال عهدهم بسماعه وتلاوته حتى أصبحوا اذا سمعوا الآية تتلى أو السورة تقرأ ادركوا لاول كلمة تقرع أسماعهم ان ذلك وحي الله المتلو ولم يحم الاشتباه حول نفوسهم — لما مرنوا على ذلك اذن لهم بكتابة الحديث لأ من اللبس

ولعل من دواعي النهي عن كتابة الحديث أولا ثم الاذن بكتابته ثانياً أن العارفين بالكتابة كانوا في غربة الاسلام قليلين فاقتضت الحكمة قصرهم على كتابة القرآن فلما توافر عددهم اذن صلوات الله وسلامه عليه بكتابة الحديث

ولا يقعن في نفسك مما أسلفت انهم لم يدونوا شيء من السنة في القرن الاول - وان كان هذا هو الشأن الغالب - فقد كان عبد الله بن عمرو يقيد كل ماسمعه من رسول الله (ص) وروى أبو عمر يوسف بن عبد البر في كتابه « جامع بيان العلم وفضله » عن مطرف بن طريف قال سمعت الشعبي يقول أخبرني أبو جحيفة قال قلت لعلي بن أبي طالب هل عندكم من رسول الله (ص) شيء سوى القرآن فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا أن يعطي الله عبداً فهما في كتابه ومافي هذه الصحيفة ؟ قلت ومافي الصحيفة . قال العقل وفكاك الاسير وألا يقتل مسلم بكافر . وكتب رسول الله (ص) كتاب الصدقات والديات والفرائض والسنن لعمرو بن حزم وغيره . وعن ابي جعفر محمد بن علي قال وجد في قائم سيف رسول الله « ص » صحيفة مكتوب فيها « ملعون من أضل اعمى عن سبيل ، ملعون من سرق تخوم الارض ، ملعون من تولى غير مواليه ، أو قال ملعون من جحد نعمة من أنعم عليه » وعن معن قال أخرج الي عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود كتابا وحلف لي أنه خط أبيه بيده . وعن سعيد بن جبير أنه كان يكون مع ابن عباس فيسمع منه الحديث فيكتبه في واسطة الرحل فاذا نزل نسخه . وعن عبد الرحمن بن ابي الزناد عن أبيه قال كنا نكتب الحلال والحرام وكان ابن شهاب يكتب كل ماسمع فلما احتيج اليه علمت انه أعلم الناس . وعن هشام بن عروة عن أبيه أنه احترقت كتبه يوم الحرة في خلافة يزيد وكان يقول لو أن عندي كتبي باهلي ومالي

تثبت الصحابة في رواية الحديث

عساك تقول اذا كانت الصدور وعاء السنة في القرن الاول فكيف يؤمن عليها النسيان وأن يندس بين المسلمين من يتقول على الرسول ؟ فنقول اجابة على ذلك ان الصحابة وأكابر التابعين كانوا على علم بالكتاب وكانوا أسبق الناس الى الائتمار

بأمره والانتهاء بنهيه وقد علموا ما أوعد الله به كاتم العلم من لعن وطرد وابعاد عن رحمة الرب فكانوا اذا علموا شيئاً من سنن الرسول بادروا الى تعليمه وابلاغه خروجا من التبعة وابتغاء للرحمة فسرعان ماينتشر بين الجماهير فلئن نسي بعض منهم فرب مبلغ أوعى من سامع فمن البعد بمكان أن يضيع شيء من السنة أو يخفى على جمهور المسلمين . ولم يكن الصحابة يقبلون الحديث من كل محدث بل علموا أن من الحديث محرما ومحالا ومخطئاً ومصوبا وأن سبيل ذلك اليقين أو الظن الآخذ باهدابه لذلك تثبتوا في رواية الحديث جد التثبت فكان لهم في الراوي نظرة كما كانت لهم في المروي وكان كثير منهم يأبى الا شاهداً معضداً أو يميناً حاسمة تميط لثام الشك عن وجه اليقين . فهذا أبو بكر الصديق كان أول من احتاط في رواية الحديث . روى ابن شهاب عن قبيصة أن الجدة جاءت الى أبي بكر تلتمس أن تورث فقال ما أجد لك في كتاب الله شيئاً ثم سأل الناس فقام المغيرة فقال كان رسول الله «ص» يعطيها السدس فقال له هل معك أحد ؟ فشهد محمد بن مسلمة بذلك فأنفذه لها أبو بكر رضي الله عنه . وعمر بن الخطاب سن للمحدثين التثبت في النقل وربما كان يتوقف في خبر الواحد اذا ارتاب . روى الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد ان أبا موسى سلم على عمر من وراء الباب ثلاث مرات فلم يؤذن له فرجع فارسل عمر في أثره فقال لم رجعت قال سمعت رسول الله «ص» يقول اذا سلم أحدكم ثلاثاً فلم يجب فليرجع » قال لتأتيني على ذلك ببينة أو لافعلن بك فجاء أبو موسى منتقعاً لونه ونحن جلوس فقلنا ماشأنك فأخبرنا وقال فهل سمع أحد منكم فقلنا نعم كلنا سمعه فارسلوا معه رجلا منهم حتى أتى عمر فأخبره وقال علي رضي الله عنه كنت اذا سمعت عن رسول الله (ص) حديثاً نفعني الله بما شاء منه واذا حدثني عنه محدث استحلفته فان حلف لي صدقته وان أبا بكر حدثني وصدق أبو بكر . ولقد كان كثير من أصحاب رسول الله «ص» يقلون من الرواية عن رسول الله (ص) خشية أن يدخلوا في الحديث ماليس منه سهواً أو خطأ فينالهم من وعيد الكذب على رسول الله (ص) ومن أولئك الزبير وأبو عبيدة والعباس بن عبد المطلب وكانوا ينكرون على من يكثر من الرواية اذ الاكثار مظنة الخطأ والخطأ في الدين عظيم الخطر فانكر واعلى أبي هريرة كثرة حديثه حتى اضطر لتبرئة ساحته أن يبين السبب الذي حمله على الاكثار فقال أن الناس يقولون أكثر أبو هريرة ولولا آيتان في كتاب الله ماحدثت حديثاً

ثم يتلو : (ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون * الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) ان اخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق في الاسواق وان اخواننا من الانصار كان يشغلهم العمل في أموالهم وان أبا هريرة كان يلزم رسول الله (ص) بشبع بطنه ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون

مبدأ تدوين السنة

لما انتشر الاسلام واتسعت البلاد وشاع الابتداع وتفرقت الصحابة في الأقطار ومات كثير منهم وقل الضبط دعت الحاجة الى تدوين الحديث وتقييده بالكتابة . ولعمري انها الاصل فان الخاطر يغفل والقلم يحفظ فلما أن أفضت الخلافة الى الامام العادل عمر بن عبد العزيز كتب على رأس المائة الى أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عامله وقاضيه على المدينة : انظر ما كان من حديث رسول الله «ص» فاكتبه فاني خفت دروس العلم وذهاب العلماء وأوصاه أن يكتب له ما عند عمرة بنت عبد الرحمن الانصارية «١» والقاسم «٢» وكذلك كتب الى عماله في أمهات المدن الاسلامية بجمع الحديث وممن كتب اليه محمد بن مسلم بن عبيد الله ابن عبد الله بن شهاب الزهري المدني احد الأئمة الاعلام وعالم أهل الحجاز والشام «٣» ثم شاع التدوين في الطبقة (*) التي تلي طبقة الزهري فكان أول من جمعه بمكة ابن جريج «٤» وابن اسحاق «٥» أومالك «٦» والربيع بن صبيح «٧» أوسعيد بن أبي عروبة «٨» أوحماد بن سلمه «٩» وسفيان الثوري «١٠» والأوزاعي «١١» وهشيم «١٢» ومعمر «١٣» وجرير بن عبد الحميد «١٤» وابن المبارك «١٥» وكل هؤلاء بالقرن الثاني وكان جمعهم للحديث مختلطاً بأقوال الصحابة وفتاوي التابعين

(١) توفيت سنة ٩٨ (٢) توفي سنة ١٢٠ (٣) توفي سنة ١٢٤ «*» الطبقة في إصطلاح المحدثين عبارة عن جماعة اشتركوا في السن ولقاء المشايخ (٤) توفي سنة ١٥٠ (٥) توفي سنة ١٥١ (٦) توفي سنة ١٧٩ بالمدينة (٧) توفي سنة ١٦٠ (٨) توفي سنة ١٥٦ (٩) توفي سنة ١٦٧ بالبصرة (١٠) توفي سنة ١٦١ بالكوفة (١١) توفي سنة ١٥٦ بالشام (١٢) توفي سنة ١٨٨ بواسط (١٣) توفي سنة ١٥٣ باليمن «١٤» توفي سنة ١٨٨ بالري (١٥) توفي سنة ١٨١ بخراسان

أشهر الكتب المؤلفة في القرن الثاني

من أشهر الكتب المؤلفة في المائة الثانية الموطأ للامام مالك ابن أنس المدني امام دار الهجرة (١) ومسند الامام الشافعي (٢) ومختلف الحديث له (*) والجامع للامام عبد الرزاق بن همام الصنعاني (٣) ومصنف شعبة بن الحجاج (٤) ومصنف سفيان بن عيينة (٥) ومصنف الليث بن سعد «٦» ومجموعات من عاصرهم من حفاظ الحديث وعقال أوابده كالاوزاعي والحميدي (٧)

ولما كان موطأ مالك أسير هذه الكتب ذكراً وأبعدها صيتاً وأجلها قبولا رأيت أن أفرد له فصلا يجلي شأنه ويوضح مالاقاه من عناية الأمة وأئمة الدين

موطأ الامام مالك

درجة حديثه قال الحافظ ابن حجر أن كتاب مالك صحيح عنده وعند من يقلده على مااقتضاه نظره من الاحتجاج بالمرسل والمنقطع «١» وغيرهما قال المحدث الدهلوي صاحب كتاب «حجة الله البالغة» أما على رأي غيره فليس فيه مرسل ولا منقطع الا قد اتصل السند به من طرق أخرى فلا جرم كانت صحيحة من هذا الوجه . وقد صنف في زمان مالك موطآت كثيرة في تخريج أحاديثه ووصل منقطعة مثل كتاب ابن ابي ذئب وابن عيينة والثوري وغيرهم ممن شارك مالكا في الشيوخ . قال السيوطي في تقريبه نقلا عن ابن حزم : أحصيت مافي موطأ مالك ومافي حديث سفيان ابن عيينة فوجدت في كل واحد منهما من المسند «٢» خمسمائة ونيفا مسندة وثلاثمائة مرسلا وفيه نيف وسبعون حديثاً قد ترك مالك نفسه العمل بها وفيها أحاديث ضعيفة وهاها جمهور العلماء

عناية الناس به قد روى الموطأ عن مالك بغير واسطة أكثر من الف رجل

-١- توفي سنة ١٧٩ -٢- توفى سنة ٢٠٤ «*» يطلق مختلف الحديث على الاحاديث المعارضة بمثلها في القوة ويمكن الجمع بينها بغير تعسف -٣- توفى سنة ٢١١ -٤- توفى سنة ١٦٠ -٥- توفي سنة ١٩٨ -٦- توفي سنة ١٧٥ -٧- «توفي ٢١٩

«١» المرسل من الحديث ماسقط من سنده الصحابي بأن يرويه التابعي عن الرسول «ص» مباشرة والمنقطع ماسقط من اثناء سنده راوٍ وأكثر مع عدم التوالي «٢» المسند مرفوع صحابي بسند ظاهره الاتصال

وقد ضرب الناس فيه أكباد الابل الى مالك من أقاصي البلاد مصداقا لقول النبي «ص» — «يوشك ان يضرب الناس أكباد الابل في طلب العلم فما يجدون بأعلم من عالم المدينة » قال عبد الرزاق هو مالك ابن أنس، رواه الترمذي — فنهم المبرزون من الفقهاء كالشافعي ومحمد بن الحسن «١» وابن وهب والقاسم ومنهم شيوخ المحدثين كيحيى بن سعيد القطان «٢» وعبد الرحمن بن مهدي «٣» وعبد الرزاق بن همام «٤» ومنهم الملوك والامراء كالرشيد (٥) وابنيه الامين (٦) والمأمون «٧» . وقد اشتهر في عصره حتى بلغ على جميع ديار الاسلام ثم لم يأت زمان الا وهو أكثر به شهرة وأقوى به عناية. وعليه بنى فقهاء الامصار مذاهبهم حتى أهل العراق في بعض أمرهم ولم يزل العلماء يخرجون حديثه ويذكرون متابعاته وشواهده(*) ويشرحون غريبه ويضبطون مشكله ويبحثون عن فقهه ويفتشون عن رجاله الى غاية ليس بعدها غاية . روى ابن سعد في الطبقات عن مالك بن أنس قال لما حج المنصور قال لي : قد عزمت على أن آمر بكتبك هذه التي وضعتها فتنسخ ثم أبعث الى كل مصر من أمصار المسلمين منها نسخة وآمرهم أن يعملوا بما فيها ولا يتعدوه الى غيره ، فقلت يا أمير المؤمنين لا تفعل هذا فان الناس قد سبقت اليهم أقاويل وسمعوا أحاديث ورووا روايات وأخذ كل قوم بما سبق اليهم ودانوا به فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لانفسهم. وروى أبو نعيم في الحلية عن مالك بن أنس قال شاورني هرون الرشيد في أن يعلق الموطأ في الكعبة ويحمل الناس على مافيه فقلت لا تفعل فان أصحاب رسول الله (ص) اختلفوا في الفروع وتفرقوا في البلدان وكل مصيب . فقال وفقك الله يا أبا عبد الله

روايات الموطأ قال أبو القاسم بن محمد بن حسين الشافعي الموطآت المعروفة عن مالك احد عشر معناها متقارب والمستعمل منها أربعة موطأ يحيى بن يحيى وموطأ ابن بكير وموطأ أبي مصعب وموطأ ابن وهب ،ثم ضعف الاستعمال في

-١- توفي الاول سنة ٢٠٤ والثاني ١٨٩ -٢- سنة ١٩٨ -٣- سنة ١٩٨ -٤- سنة ٢١١ -٥- سنة ١٩٣ -٦- سنة ١٩٨ -٧- سنة ٢١٨

(*) الحديث الذي ينفرد بروايته واحد يسمى غريبا فان انفرد به في موضع واحد من الاسناد قيل للحديث انه فرد نسبي أيضا وان كان في كل موضع منه سمي فردا حقيقيا فاذا وافق ذلك المنفرد غيره في رواية ذلك الحديث عن نفس الصحابي الذي رواه عنه قيل انه وجد للاول متابع وان وجد متن يشبه متنه وهو مروي عن صحابي آخر قيل للثاني شاهد

الأخيرين . وبين الروايات اختلاف كبير من تقديم وتأخير وزيادة ونقص ومن أكبرها وأكثرها زيادات رواية ابي مصعب فقدقال ابن حزم انهاتزيد على سائر الموطآت نحو مائة حديث

شروح الموطأ ومختصراته

ممن شرح الموطأ أبو مروان بن عبدالملك بن حبيب المالكي (١) وصنف الحافظ ابو عمر يوسف بن عبدالبر (٢) كتابا سماه (التقصي لحديث الموطأ) وله كتاب (التمهيد لما في الموطأ من المعاني والاسانيد) قال ابن حزم هو كتاب في الفقه والحديث ولا أعلم نظيره. وكذلك شرح الموطأ أبو محمد عبدالله بن محمد النحوي البطليوسي (٣) والقاضي الحافظ أبو بكر محمد بن العربي المغربي «٤» وسماه (القبس) ومماجاء فيه في وصف الموطأ : هذا أول كتاب الف في شرائع الاسلام وهو آخره لانه لم يؤلف مثله اذ بناه مالك رحمه الله على تمهيد الاصول للفروع ونبه فيه على معظم أصول الفقه التي ترجع اليه في مسائله وفروعه. وممن شرحه جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي (٥) وسمى شرحه «كشف المغطا في شرح الموطأ» ومحمد ابن عبد الباقي الزرقاني المصري المالكي (٦) شرحه شرحا بسيطاً في ثلاثة مجلدات وللموطأ مختصرات كثيرة فنها مختصر الامام الخطابي أحمد بن محمد البستي (٧) ومختصر ابي الوليد سليمان بن خلف الباجي (٨) وابن رشيق القيرواني (٩) (له بقية)

﴿ الدعوة الى انتقاد المنار ﴾

اننا ندعو جميع من يطلع على المنار من علماء الدين وغيرهم من أهل العلم والرأي أن يكتبوا الينا بما يرون فيه من الخطأ في المسائل الدينية وغيرها أو ما ينافي مصلحة أمتنا أو أوطاننا التي نعيش فيها . ونعد المنتقدين بنشر كل ما يرسل الينا من نقد مع بيان رأينا فيه بشرط أن يكون على الوجه الذي بيناه في خاتمة المجلد ال ٢١ وفيما قبله

ونذكر عامة قراء المنار بأن يطالبوا كل من يسمعون منه انتقادا في المنار بكتابة انتقاده وارساله الى صاحبه لينشره فيه فيطلع قراؤه عليه وعلى مايقرن به من قبول أو رد ويأخذوا بما يرونه الحق، وليعلموا أن كل منتقد يأبى أن يكتب انتقاده ويرسله الينا فهو فاسق مغتاب ، أو حاسد كذاب

١- توفي سنة ٢٣٩ ٢- سنة ٤٦٣ ٣- سنة ٥٢١ ٤- سنة ٥٤٦ ٥- سنة ٩١١ ٦- سنة ١١٢٢ ٧- سنة ٢٨٨ ٨- سنة ٤٧٤ ٩- ٤٥٦

الاتحاد والاقتصاد

كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، ميزان سياسة الامم ونظام الاجتماع، كثر في هذا العصر تشدق الخطباء بذكرهما، وشرح الكتاب لفوائدهما، ولا يفقه الدهماء حقيقة معناهما، بل لما يحطأ كثر العلماء والزعماء منا خبرا بهما، لان فقه الحقائق واحاطة الخبر لايحصلان الا بطاول التجارب في الحوادث، والاصطلاء بنيران الكوارث، بعد تلقي الحكمة بالتعليم، والتربية على سلوك الصراط المستقيم

كنا منذ أنشأنا المنار في أواخر سنة ١٣١٥ للهجرة قد جعلنا أهم ماندعو اليه القراء في مصر وسائر البلاد ان يجعلوا جل عنايتهم في اصلاح شؤونهم بالتربية الملية التي تكوّن أمة متحدة والاقتصاد الذي تكون به الامة غنية تتصرف بثروتها في القيام بمصالحها كما تشاء. بثثنا هذه الدعوة في (المؤيد) في ذلك العهد اذ كنا نكتب فيه مقالات بامضاء (م. ر) وبغير امضاء. ثم أعدنا بثها في (الجريدة) في أول العهد بظهورها في مقالة عنوانها (الى أي شيء أنت يامصر أحوج) نشرناها أيضاً في الجزء الثاني للمجلد العاشر من المنار الذي صدر في صفر سنة ١٣٢٥

ونحمد الله تعالى ان رأينا في هذه السنين آيات الاتحاد في هذه البلاد العزيزة ورأينا من نتائجه قرب الحصول على الاستقلال الذي نعتقد أنه لاينال الا به. بل نقول ان الاتحاد بغير استقلال خير من الاستقلال بغير اتحاد، لان الاتحاد يأتي بالاستقلال المفقود، وفقده يذهب بالاستقلال الموجود، فالواجب الآن على كل مصري أن يكون أحرص على تعزيز الاتحاد والتكافل الذي وقع، منه على نيل الاستقلال الذي يرجى به و يتوقع، فان الاتحاد اذا تم وانفصمت عروته قبل بدو صلاح ثمرته نفضت الشجرة أو خرجت الثمرة شيصا لاغناء فيها، واذا انتكث فتله بعده؛ زال أثره بزواله، فاذا لااستقلال ابتداء ولا بقاء الا بالاتحاد

ولما كان لكل كثرة منظمة جهة وحدة تضبطها وتعرف بها وكان الوفد المصري هو عنوان الاتحاد الذي ارتقت اليه البلاد وممثله وجب على الشعب المصري المتحد أن يظل مستمسكا بحبله معتصما بعروته، ولاسيما بعد الذي ظهر من كفاءته وأمانته، والا

كان كالتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا ، وناهيك به جهلا وأفنا وخسرانا

ثم ليعلم علم تدبر أنه لا قوام لاستقلال الامم وحريتها الا بالثروة، ولا ثروة الا بالاقتصاد، وان الاستقلال السياسي، متوقف على الاستقلال الاقتصادي، ونحن مقصرون في سبيل هذا الاستقلال تقصيرا اذا لم نبادر الى تداركه كنا من الهالكين

ان للكسب والانفاق علوما وفنونا اتسع نطاقها في هذا العصر اتساعا عظيما لانها قطب الرحى لمدنية الامم والشعوب وعزتها ورفاهتها وسيادتها، وقد برّزت بها الامم الشمالية الغربية ، فاستعمرت أو استعبدت به الامم الشرقية والجنوبية، حتى ظن كثير من القاصرين ان الشعوب والاجناس أو الاقاليم الغربية، أعظم استعدادا بطبيعة العرق وخاصية الجنس من الشعوب الشرقية، ويبطل هذا القول ماهو معلوم من ان اليهود أرقى أهل الارض في جميع هذه العلوم والفنون والاعمال المترتبة عليها، أينما وجدوا وحيثما حلوا من أقطار الارض، وهم شعب شرقي محافظ على نسبه ودمه، وكذلك الشعب الياباني في الشرق الاقصى قد جارى الغربيين فيها من عهد قريب

ولكن الامر الغريب ان المسلمين في الشرق والغرب والجنوب والشمال لا يزالون مقصرين في هذا المضمار، وبهذا التقصير أضاعت أكثر دولهم ملكها وأمسى الباقي لها بين براثن الخطر، ويضيع أكثر أفرادهم ملكهم في البلاد التي يزاحمهم فيها غيرهم ، فان كان جل ثروة مصر وسورية والعراق لا يزال بيدهم فما ذلك من كسبهم بعلومهم وفنونهم وانما ذلك إرث رقبة الارض تسلسل فيهم لانهم أكثر السكان المالكين لها ،

فهذه مصر أقدر البلاد العربية على اقتباس العلوم والفنون المالية وغيرها وأكثرها نفقة عليها نراها مقصرة في هذا الاقتباس لجميع من يعيش فيها من الشعوب الاوربية واليونانيين والسوريين يفوقون المصريين في العلوم والفنون المالية والاقتصادية وفي ادارة المال بالتجارة وغيرها وفي الاقتصاد وحفظ الثروة من التبذير والضياع ، بل القبط من المصريين يفوقون المسلمين في ذلك عملا وثروتهم النسبية تفوق ثروة المسلمين وأكثر أعمال الحكومة المالية في أيديهم وأيدي الاوربيين والسوريين ، بل أكثر المسلمين يعتمدون على كتابهم في ادارة ثروتهم. على أن المسلمين أشد اسرافا في الانفاق وتبذيرا للاموال منهم ومن سائر الشعوب التي نعرف أحوالها

من فطن لهذا من علماء الاقتصاد يعلله بادي الرأي بأن الدين الاسلامي هو السبب في الامرين . وهذا التعليل يضاهي في البطلان تعليل من عساه يقول ان الدين المسيحي هو سبب ثراء نصارى الغرب وسعة عيشهم وشدة سطوتهم وجبروتهم. والحق أن كلا من النصارى والمسلمين مخالف لهدي دينه ونصوص كتابه في الامرين، فالانجيل يهدي الى المبالغة في الزهد والقناعة والتواضع والخضوع لكل سلطان، وينص على أن الغني لا يدخل ملكوت السموات، والاسلام دين سيادة واقتصاد وجمع بين مطالب الروح والجسد كما بينا ذلك وفصلناه مرارا كثيرة. ومن نصوصه فيما نحن بصدده قوله تعالى في أوائل سورة النساء (ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما) أي جعل عليها مدار قيام مصالحكم ومرافقكم وحفظها وثباتها، وقوله في صفات المؤمنين من أواخر سورة الفرقان (والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما) ونهى في وصايا سورة الاسراء عن المبالغة في قبض اليد وبسطها في الانفاق وعن التبذير، وسمى المبذرين اخوان الشياطين . وهذه الوصايا هي أمهات أصول الدين وفضائله وآدابه، وهي تشمل الوصايا العشر التي في التوراة ماعدا بطالة يوم السبت وتزيد عليها . وفي السنة وصايا وأحكام كثيرة في ذلك

فالمسلمون مخالفون لدينهم فيما اعتادوا من الاسراف في النفقات ، وهذا اذا كانت فيما أبيح لهم من الزينة والطيبات ، فكيف اذا كانت في المحرمات ، ولا سيما الفواحش الثلاث المفسدات للفطرة المخربات للديار — السكر والزنا والقمار . وهم على هدمهم بذلك لدينهم ، يهدمون كل ما بقي من صرح استقلالهم، وانني لم أر ولم أسمع من أخبار البشر أن شعبا منهم يعادي النقد الذي هو ميزان الاعمال والقوة في الاجتماع البشري كالشعب المصري، فالمصري أسرع الناس بذلا لما يصل الى يده من النقد فالمتمتعون بالزينة واللذات ينفقون في سبيلهما ما تصل اليه أيديهم من كسب وقرض ولو بالربا الفاحش، وغير المتمتعين يشترون بما تصل اليه أيديهم من كسب وقرض بالربا أرضا أوعقارا ولا يبالي أكثر الفريقين أن يشتري الشيء بأضعاف ثمنه وان استدان الثمن بالربا الفاحش لان النقد احقر الاشياء في نظره ولذلك ترى أكثر المصريين على سعة ثروتهم الزراعية مرهقين بالدين. فيجب على الزعماء والعلماء والخطباء

وكتاب الصحف أن يتعاونوا على درء هذا الخطر بوسيلتي العلم والعمل، والاظل المنتجون منهم كالاجراء للاجانب لان جل ما ينتجون يتسرب الى صناديق المصارف المالية وسائر المرابين وجيوب أصحاب الحانات والمواخير وموائد القمار وتجار عروض الزينة والترف، وبعبارة أخرى ان جل ثروة البلاد تخرج منها الى البلاد الاجنبية

ومن الضروري أن يبادروا الى تأليف جمعية اقتصادية يكون من أعمالها ارسال بعض الطلاب المستعدين الى معاهد العلم في أوربة لاجل الاخصاء في علم الاقتصاد السياسي وسائر الفنون المالية والصناعات الضرورية ولا سيما الغزل والنسيج ثم جعلهم معلمين لهذه الفنون والصناعات وعاملين بها ، والاستقلال المنتظر يزيل ان شاء الله ما كان من الموانع دون مثل هذا. وانني رأيت في الهند معامل عظيمة للمنسوجات الاوربية — دع المنسوجات الوطنية الخاصة بأهل البلاد — وجميع عمال هذه المعامل من الوطنيين الا أنني رأيت في معمل كبير في بمباي رجلين من الانكليز وظيفتهما اختيار نقوش النسيج . ويكون أهم أعمال هذه الجمعية وشعبها تعميم النقابات الزراعية في البلاد وتأليف الشركات للمشروعات الاقتصادية المختلفة ويكون منها السعي لارشاد جمهور الامة الى الاقتصاد وجعل ثروة البلاد قوة لها وضامنا لاستقلالها بنفسها وحريتها في التصرف بثروتها

﴿ نصيحة اقتصادية ﴾

إن هذا الغلاء الشديد الذي تئط من حمله جميع الامم — الذي كانت الحرب سببا طبيعيا[1] له وابتدع له الطامعون من التجار وغيرهم أسبابا صناعية وحيلا كثيرة — قد بلغ منه الغاية في حده ولم يعد للعمران قبل باحتماله ، ومن المقطوع به في علم الاقتصاد ان الاشياء التي قلت بقلة الايدي العاملة لاشتغال ألوف الالوف من البشر بالحرب عن الزراعة والصناعة ستكثر بعد عود تلك الايدي الى العمل فتجد المستهلكين للاقوات والمصنوعات قد قل عددهم اذ أهلكت الحرب خمسة وثلاثين مليونا من البشر منها

(١) القاعدة في النسبة الى فعيلة فعلي وصرحوا باستثناء السليقة فقالوا سليقي استعمل وجرى علماء المعقول وغيرهم على ذلك في النسبة الى الطبيعة لانها بمعنى السليقة ولعلهم لاحظوا التفرقة بين ما ينسب الى الطبيعة وما ينسب الى الطبع

١٢ مليونا في ميادين القتال على أوسط تقدير، والباقي فيما تولد عنها من الادواء والامراض والمجاعات كما قيل، و يوجد عشرات الملايين أو مئات الملايين من البشر في الشرق لا يزال يتعذر ايصال البضائع الاوربية اليهم، فلابد اذا أن تهبط أثمان البضائع والاقوات هبوطا عظيما ربما كان فوق تقدير المقدرين

فالواجب على كل عاقل حريص على ماله أن يتبع القاعدة المعقولة التي جرينا نحن عليها وكنا نوصي الناس بها وهي أن لا يشتري أحد شيئا ما قبل عودة الاسواق الى الاسعار المعتدلة الا اذا كان لاغنى له عنه و بعد البحث عن أسعاره في عدة مواضع، ولا يغترن أحد بعد اليوم بحيل التجار بادعاء تنزيل الاثمان موقتا ودعوتهم الى ما يسمونه الفرصة العظيمة أو « الاكازيون » فان هذه الفرص ليست بموقتة وانما هم مضطرون الى الهبوط بها الى ما دونها فهم يغتنمون فرصة حاجة الناس الى الشئ والفتهم للغلاء قبل الهبوط الشديد العام المنتظر فالغنم لهم والغرم على من يصدقهم

بدأ احذق التجار بنقص أسعار البضائع بالتدريج ولاسيما المنسوجة وظل أغبياء الطامعين مصرين على نهب الناس بتلك الاسعار الفاحشة بل علمنا علم اليقين أن بعض الذين أعلنوا للناس وجوب اغتنام الفرصة بالنقص الموقت من سعر البضائع قد زادوا في سعرها عما كتبوا على بطاقاتها كما كانوا يفعلون في زمن الحرب والهدنة، ولكن قل من ينخدع بعد اليوم بهؤلاء القساة المستحقين للافلاس والفقر

الجود والاحسان

والمقابلة فيهما بين نساء الانكليز اليوم ونساء الصحابة (رض)

نشرت جريدة المقطم منذ بضعة أشهر ما يأتي

قابل أحد اغنياء لندن محافظها من ايام وابلغه انه مستعد للتبرع بمئة وخمسين الف جنيه لانشاء حديقة في لندن تدعي حديقة النصر. وقد وعد هـذا المحسن أن يتبرع بكل ثروته وتقدر باكثر من مليون للاعمال الخيرية قبل وفاته

واجتمع المؤتمر الانكليزي الكاثوليكي في لندن لاستنـداء الاكف لمساعدة الرسالات الدينية الخارجية وخطب الخطباء. قالت الديلي مايل فاخذت النساء ينزعن حليهن و يلقينها في العلب والبرانيط التي ادبرت على المجتمعين وتبرع كثيرون

بحوالات كتبوها باقلام استعارها بعضهم في الاجتماع وبعض هذه الحوالات بالف جنيه وبعضها بثماني مئة والبعض بخمس مئة . وتقدم ما الجمع من السامعات ذات السوار والحلي الاخرى بمئات الجنيهات . ونزعت احدى الحاضرات الحلية التي على حذائها وتبرعت أخرى بأزرار اللؤلؤة التي على بلوزتها وتبرعت اخرى بقرطين صغيرين من الذهب والالماس نزعتهما من أذنيها وكان المجموع الاول ١٧٤٠٠ جنيه اهـ

الاعتبار بهذا الخبر

ذكرنا تبرع نساء الانكليز بحليهن لمساعدة نشر دينهن ماورد في الصحيحين من مثل ذلك عن نساء الصحابة (رض) ففي (باب عظة النساء) من كتاب العلم عند البخاري عن ابن عباس (رض) قال أشهد على النبي (ص) انه خرج ومعه بلال فظن انه لم يسمع النساء فوعظهن وأمرهن بالصدقة فجعلت المرأة تلقي القرط والخاتم وبلال يأخذ في طرف ثوبه .

وهذا الوعظ للنساء كان في يوم عيد الفطر ، خص النبي فيه النساء بالموعظة بعد الخطبة العامة لظنه انه لم يسمعهن لانهن كن يصلين ويجلسن وراء الرجال وأخرج البخاري الحديث في (باب موعظة الامام النساء يوم العيد) من (كتاب العيدين) عن جابر وفي تفسير سورة الممتحنة عن ابن عباس . ويؤخذ من مجموع الروايات ان النبي (ص) شق صفوف الرجال بعد خطبة العيد حتى أتى النساء فقرأ عليهن آية المبايعة ثم قال لهن «هل أنتن على ذلك» ؟ فاجابته واحدة عنهن نعم . ولما أمرهن (ص) بالصدقة قال لهن بلال : هلم لكنّ فدًا أبي وأمي . فجعلن يلقين الفتخ والخواتيم في ثوب بلال ، وزاد في رواية لمسلم الخلاخيل . فأما الاقراط فهي حلي الآذان واما الفتخ وهي جمع فتخة فحلق تلبس في أصابع اليدين والرجلين

والعبرة فيما تقدم من وجوه أهمها أن الافرنج اليوم أقرب منا الى هداية ديننا وسيرة سلفنا الصالح في أمور كثيرة وأهمها حياة الدين والغيرة عليه والبذل في سبيله ومشاركة النساء للرجال في حضور العبادة في المعابد مع الرجال وسماع المواعظ والتعاون على المصلحة الملية العامة . ولا يبعد أن يعود نساؤنا الى شيء هداية دينهن اقتداء بالحسنات من نساء الافرنج كما يقلد الكثيرات منهن المسيئات الآن في الامور المنتقدة . ومتى دبت الحياة في الامة يحيا فيها كل ما يتعلق بحياتها الاجتماعية . (تم الجزء)